دكتور

نعمان عبد السميع متولي

الانزياح اللغوي

أصوله - أثره في بنية النص

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٨١١.٠٠٩
م . ن

متولي، نعمان عبد السميع .

الانزياح اللغوي أصوله - أثره في بنية النص / نعمان عبد السميع متولى.-

ط١.- دسوق : دارالعلم والإيمان للنشر والتوزيع ،

١٣٢ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .

تدمك : 3 – 423 – 308 – 977 – 978

١. لغة عربية .   أ - العنوان .

رقم الإيداع : ١٥١٦٦ - ٢٠١٤.

الناشر : دار العلم والايمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

2014

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة يونس: الآية ١٠٦ - ١٠٧]

صدق الله العظيم

إهداء

إلى أساتذتي الأجلاء :

الدكتور : أحمد عبد الدايم

الدكتور : أحمد يوسف خليفة

الدكتور : سيد علي حسن

فقد تعلمت على أيديهم ، ونهلت من موفور معارفهم .

داعيا الله أن يثيبهم الخير وحسن الجزاء .

المحتويات

توطئة

حظيت الجملة في اللغة العربية باهتمام الباحثين ، فكتبوا فيها وتناولوا أحوالها وما يعتريها من نقص أو زيادة أو تغير ، وما يدخل عليها من أدوات تؤثر فيها .

ولغتنا العربية أصوات محتوية على بعض الحروف الهجائية وعددها تسعة وعشرون حرفا ، هي التي نتكلمها ، وتتكون منها الكلمة .

والكلمة – في لغة الضاد – هي اللفظ المفرد الدال على معنى ، أي لفظ مفرد عيّنه قائله لمعنى ، يتضح ويظهر بمجرد النطق به ، وتبرز دلالته .

وقد تطلق الكلمة إطلاقا لغويا ليراد بها جملة تتألف من عدة كلمات مثل : "لا إله إلا الله " عبارة كاملة يطلق عليها : كلمة التوحيد.

والكلمة تتكون من ثلاثة أنواع :

اسم ، فعل ، وحرف كما **قال ابن مالك :**

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ... واسم وفعل ثم حرف الكلم

واحده لفظة والقول عم ... وكلمة بها كلام قد يؤم

ومن هذه الأنواع الثلاثة يتركب الكلام .

والكلام عند النحويين (هو اللفظ المركب المفيد بالوضع العربي فائدة يحسن السكوت عليها) وأقل ما يتركب منه الكلام : من كلمتين فأكثر والكلم هو اللفظ المركب من ثلاث كلمات فأكثر سواء أفاد أو لم يفد.

هذه الألفاظ المفردة التي ننطقها ونتحدثها هي التي جمعها الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه المعروف (العين) ومن جاء بعده من علماء اللغة وشيوخها فرتبوا أبوابها ، وقسموا أقسامها .

واللغة فعل لساني أو ألفاظ يأتي بها المتكلم ليعرف غيره ما في نفسه من المقاصد والمعاني . وللأمم طرائقها الخاصة في التعبير عما يريدون من معان ومكنونات وموضوعات ومشاعر وخواطر .

وقد امتلك العرب ناصية البيان بما أودع الله فيهم من ملكات الفصاحة والإبانة ، وقد أراد المولى عز وجل لهذه الأمة العربية أن تسود الأمم بما تملك من بيان وفصاحة لسان .

وقد أسهب علماء اللغة في الحديث عن محتواها ومكوناتها ، وما يتعلق بها من نحو وصرف وبلاغة ، ووضعوا المقاييس والضوابط التي تحقق سلامة القول وجودة الإفصاح والإبانة .

تناولوا في تصانيفهم محتوى الجملة (الاسمية والفعلية) ، وترتيبها المنطقي ، وما يلحقها من مكملات تتمم معناها ، وأدركوا بحسهم اللغوي ، وذوقهم النقدي أن اللغة قد تخرج في أساليبها عن ترتيبها المعهود ونظامها المألوف المتعارف عليه ، فتحدثوا عن التقديم والتأخير الذي به يتغير بناء الجملة ، وتتغير الدلالة تبعا له ، كما تناولوا الذكر والحذف ، وما لهما من مقاصد وأغراض، وتطرقوا إلى الإطناب وطرائقه ، والإيجاز وأنواعه ، وما لها جميعا من أثر في بناء الجمل، وما يترتب عليها من دلالات .

هذا الخروج عن أصول ترتيب الجملة هو أطلقت عليه الدراسات الغربية الحديثة: الانزياح .

وفي ثنايا هذا المؤلف نعرض لهذا المصطلح وطرائقه ن وما كان عليه في تراثنا العربي البلاغي والنقدي ، كما نعرض لأثره في الجملة والتعبير، مشفوعا بنماذج من القديم والحديث ، ومع أملي بتحقيق الفائدة واكتساب المعرفة ، أدعوك عزيزي القارىء إلى نتصفح أبواب هذا المؤلف .

دكتور / نعمان

المحلة الكبرى / منشية البكري

أثر تراث العرب
الأدبي والنقدي
في
الأدب والنقد عند الغرب

يحلو لكثير من الكتاب ودارسي الأدب أن يقرنوا ازدهار الأدب والنقد عند العرب بالنهضة الأدبية والنقدية عند الغرب ، ومن الدارسين من يرجع النهضة الأدبية برمتها إلى الغرب ، وكأن الغرب هو الأساس ، وكأنه لم تكن للعرب نهضة أدبية . ولم يكن لها تراث أدبي ، وعجيب الأمر أن تتناقل هذه الآراء وشيئا فشيئا يُظن أنها حقيقة وتخرج الأجيال من بعدنا لتسلم بها وتؤمن، والحقيقة أن العرب هم الأصل ، وهم الأساس في نهضة الحركة الأدبية والنقدية عند الغرب .

إننا لا ندعي شيئا ليس لنا ، ولكنها الحقيقة التي لا مراء فيها ، فضوء الشمس لا ينكره مبصر ، وحضارة العرب لا ينكرها إلا جاحد أو شانىء ، فقد كانت حضارة شاملة في كل مجالات الحياة بما فيها الأدب (شعره ونثره) والنقد ودعنا ندلل على صدق ما نقول فقد كان للحضارة الإسلامية فضل الذيوع والانتشار والتأثير فيما حولها منذ القرن العاشر الميلادي ولمدة تزيد عن ثمانية قرون استمر فيها حكم العرب للأندلس فسارت النهضة في ركاب الفاتحين منذ عبر طارق ابن زياد وجنوده المحيط إلى شبه جزيرة أيبيريا ليؤسس دولة إسلامية عريقة ، أثرت في الحياة الأندلسية ،والأوروبية في كافة فروع الحضارة الإنسانية حتى صارت الأندلس مزارا ومنهلا عذبا يفد إليه طلاب العلم والمعرفة من كل أنحاء أوروبا وينهلون من معينه ، كما حكم المسلمون صقلية طوال قرنين من الزمان، صارت خلالهما دول مثل فرنسا وإيطاليا وغيرها مجتمعاً متمدينا على غرار الحضارة والثقافة الإسلامية، وكما تقول :"لوثي لوبيث بارالت" "من الظلم البين ألا نقبل القول بأن إسبانيا الإسلامية كانت تشكل بالفعل معجزة ثقافية حقيقية في إطار القارة الأوروبية في القرون الوسطى، وبفضل العرب المسلمين، لم تبلغ أية أمة

أوروبية أخرى ما بلغته شبه الجزيرة الأيبيرية من تقدم العلوم والفنون في تلك العصور التي كانت وسيطة أو مظلمة بالنسبة لقارة أوروبا لكنها لم تكن على الإطلاق بالنسبة إلى الأندلس" (١).

وكان من نتيجة ذلك أن تأثر الغربيون بما أبدع العرب.

وأمثلة هذا التأثر كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر.

التأثر الغربي بنظرية النظم التي وضع أسسها شيخ العربية عبد القاهر الجرجاني.

في هذه النظرية يبين الجرجاني تعلق الكلم بعضه ببعض، وترتيب المعاني داخل النفس، وعلاقة المعنى والأسلوب بعلم النحو، وما يميز القول من خيال واستعارات وتقديم أو تأخير، وما فيه من ذكر أو حذف، يقول: "وهل يقع في وهم وإنْ جَهَدَ، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن يُنظَر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخفّ، وامتزاجها أحسن، ومما يَكُد اللسان أبعد؟ وهل تجد أحداً يقول: "هذه اللفظة فصيحة" إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: "لفظة متمكنة ومقبولة"وفي خلافه : قلقة، ونابية، ومستكرهة"، إلا وغرضهم أن يعبّروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنُبُوّ عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تَلِقْ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفْقاً للتالية في مؤدّاها؟ وهل تشكّ إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة هود:٤٤]، فتجلّى لك منها الإعجاز وبَهرك الذي ترى وتسمع - أنك لم تجد

ما وجدت من المزيّة الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلِم بعضها ببعض، وأنْ لم يعرِض لها الحسنُ والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقريها إلى آخرها، وأنّ الفضل تناتجَ ما بينها وحصَل من مجموعها؟ إن شككت، فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أُخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدّت من الفصاحة ما تؤدّيه وهي في مكانها من الآية؟ قل: "ٱبْلَعِى"، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أنّ مبدأ العظمة في أنْ نوديت الأرض، ثم أُمرت، ثم في أنْ كان النداء "بيا"دون "أيّ"، نحو "يا أيتها الأرض"، ثم إضافة "الماء"إلى "الكاف"، دون أن يقال: "ابلعي الماء"، ثم أنْ أُتبع نداء الأرض وأمْرها بما هو من شأنها، نداءَ السماء وأمْرَها كذلك بما يخصّها، ثم أنْ قيل: "وغيض الماء"، فجاء الفعل على صيغة "فُعل"الدالة على أنه لم يَغِضْ إلا بأمر آمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: "وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ"، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو: "استوت على الجودي"، ثم إضمار "السفينة"قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة "قيل"في الخاتمة "بقيل "في الفاتحة ؟ أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها - تعلُّقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالي في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتّساق العجيب؟ فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً، أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردّة، ولا من حيث هي كلِم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تعَلُّق له بصريح اللفظ.

وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتُوحشك في موضع آخر، **كلفظ "الأخدع" في بيت الحماسة:**

تلفّتُّ نحو الحيّ حتى وجدتُني

وجِعتُ من الإصغاء ليتاً وأخْدَعا

وبيت البحتري:

وإني وإن بلغتني شرف الغنى   وأعتقت من رق المطامع اخدعي

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، **ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:**

يادهر قوم من أخدعيك فقد   أضججت هذا الأنام من خُرُقكْ

فتجد لها من الثـّقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير، أضعاف ما وجدت هناك من الرَّوْح والخفة ومن الإيناس والبهجة".

ويقول : "وليس المقصود بنظم الألفاظ مجرّد تتابعها في النطق كما هي الحال في نظم الحروف، إذن لاستوى الناس كلّهم في العلم بحسن النظم ورداءته؛ لأنّهم جميعاً يُحسّون بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً. ولكنّ المقصود به تناسق دلالاتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل. وإذن فإنّ الاعتبار في النظم هو للمعاني وليس للألفاظ ؛ بل إنّ الألفاظ في ذلك تبَعٌ للمعاني، فهي تترتّب تلقائياً بحسَب الترتيب الذي تنشأ عليه المعاني في النفس، ولا يحتاج المتكلّم أن يفكّر مرّتين: مرة في ترتيب المعاني، وأخرى في ترتيب الألفاظ. وإنّما ينحصر تفكيره في المعنى؛ فإذا ترتّبت المعاني جاءت الألفاظ مرتّبة على نسقها من غير استئناف نظر جديد، "فلا يُتَصوَّر أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه،

ولا أن تتوخّى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً، وأنك تتوخّى الترتيب في المعاني وتُعمل الفكر هناك، فإذا تمّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقَفَوْت بها آثارها وأنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علمٌ بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق".

وهذا الذي قال به عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم كان الأساس الذي بنى عليه الغربيون نهضتهم في الألسنيات ، إذ تجد صدى هذه النظرية ماثلا في الأسلوبية والبنيوية والتفكيكية التي نادى بها علماء الغرب : دي سوسير ، وتشارلز بيرس ، جاك دريدا ، ورولان بارت ، وغيرهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

ومن أمثلة التأثر الغربي بأدب العرب ونقدهم :

"الفابولا " التي استمدت عناصرها من كليلة ودمنة .

والفابولا أحد الأجناس الأدبية الأولى للقصة عند الغربيين - وهي أقصوصة شعرية تحمل روح ومعنى الهجاء الاجتماعي- قد ظهرت في فرنسا منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي وحتى أوائل القرن الرابع عشر - على غرار النقد الاجتماعي التي تتضمنه حكايات كليلة ودمنة ، يقول "جاستون بارى" أحد أعمدة الأدب المقارن الأوائل عن الفابولا " إنها استمدت عناصرها وروحها من كتاب "كليلة ودمنة" الفارسي الأصل" والذي ترجمه ابن المقفع، والذي قامت فكرته الأساسية على الحكم والفلسفات التي تقال على ألسنة الحيوان ،وواضح أن الفابولا اعتمدت على الأصل الذي ترجمه ابن المقفع .

كما تأثر الشاعر الفرنسي لافونتين بترجمة (كليلة ودمنة)، وظهر هذا الأثر فيما كتب عن الحيوان ، وحسبك هذا المثال لتأثر الغرب : يلاحظ على هذه القصة (فكرتها وتفاصيلها) أنها تسير على النمط القصصي الموجودة في كتاب "كليلة ودمنة" الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية .

- ومن مظاهر التأثر الغربي قصة (حي بن يقظان)التي رأينا صداها في قصة (روبنسون كروزو) .

وقصة (حي بن يقظان) في مضمونها : يروي ابن طفيل أن طفلا صغيرا بلا أب أو أم في جزيرة منعزلة وربته أنثى الظبي، ولكنه استطاع أن يتوصل إلى حقائق الحياة ووجود الله بواسطة عالم متصوف يأتي إلى الجزيرة المنعزلة للتعبد.

وقد ترجمت قصة (حي بن يقظان) إلى اللاتينية والإنجليزية في القرنين الرابع عشر والسابع عشر وراجت في أوروبا رواجا كبيرا ،وألف الغربيون على منوالها ،وتأثر بها الكلاسيكيون،و الرومانتيكيون،في الخيال والرمزية،كما ترجمت هذه القصة إلى الفرنسية والروسية،وممن تأثروا بها دانييل ديفو (١٦٦١/ ت.١٧٣١م) الذي ألف "روبنسون كروزو".

وروبنسون كروزو سيرة ذاتية تخيلية ،تحكى عن شاب انعزل في جزيرة ما، وحيدا لمدة طويلة دون أن يقابل أحدا من البشر، ثم بعد عدة سنوات يقابل أحد المتوحشين وعلمه بعض ما وصل إليه الإنسان المتحضر من تقدم فكري وجعله خادمه. وفى نهاية القصة عاد روبنسون كروزو ومعه خادمه إلى أوروبا حيث العالم المتحضر. وهذه القصة تعني للكثيرين حلم الانعزال عن هذا العالم الظالم والحياة في ظل الطبيعة الرحيمة .

والواضح أن هناك تشابهاً ملموسا بين فكرتها وفكرة قصة حي بن يقظان لابن طفيل .

- ومن التأثر الغربي بالتراث العربي أيضا : (الملاحم) إذ تعتبر ملحمة (الكوميديا الإلهية) للشاعر الإيطالي "دانتي إليجيرى" التي كتبت في القرن الرابع عشر الميلادي صدى للتأثر الغربي ففيها يبدو التأثر الشديد بقصة الإسراء والمعراج وملحمة الكوميديا الإلهية مقسمة إلى ثلاثة أجزاء هي:" الجحيم – والمطهر – والفردوس".

ويلاحظ في محتواها قصة المعراج الإسلامية بكل تفاصيلها مما يظهر مدى تأثر دانتي بحكاية الإسراء والمعراج.

وقد يتعلل بعض المؤرخين بأن دانتي لم يكن يعرف العربية ، لكن مصادر الأدب تشير إلى وجود مخطوطتين مترجمتين تحكيان قصة المعراج أتيح لدانتي الإطلاع عليهما في إيطاليا ويشير الباحث " محمد عبد السلام كفافي"إلى هذا التأثر الغربي بقوله:"وقد عرف الغرب في العصور الوسطى شيئا عن معراج النبي محمد صلوات الله عليه في ترجمة لاتينية لوصف المعراج، إذ أن الغرب كان في العصور الوسطى .

على اتصال وثيق بالثقافة الإسلامية ،وكان علماء أوروبا يسعون للتزود من مناهل تلك الثقافة"(٣).

- كما وجدت مقامات الحريري ، وبديع الزمان الهمذاني ، وحكايات ألف ليلة وليلة طريقها إلى الأدب الغربي ، وظهر التأثر بها في الفكرة والأسلوب وما تحمل من طرافة وأخيلة وصور جمالية .

وحتى لا نتهم بالتعصب فإن التأثير والتأثر أمر متبادل بين الآداب واللغات جميعا ، وكما أعطى أدبنا وتراثنا العربي وأثر في ثقافة وحضارة الغرب ، فقد أخذ وتأثر برياح التغير والتطور الغربي و **ظهر ذلك في أمور عدة منها** :

- **تيارات الأدب ومدارسه ممثلة في** :

- التيار الكلاسيكي
- التيار الرومانسي
- التيار الواقعي .
- الرمزية
- البرناسية .

وعندما تقدمت الألسنيات وما رأيناه من نتاج غربي ظهر التأثر العربي بالغرب ملموسا **في تيارات النقد ممثلة في** :

- المنهج الأسلوبي.
- المنهج البنيوي.
- المنهج التفكيكي.

وهذا التأثير والتأثر من ظواهر صحة ومرونة تراثنا الأدبي والنقدي ودليل مرونته وطواعيته وقابليته للتطور واستيعاب مقتضيات وتقنيات الحضارة وتطور العصر، **يقول الباحث عامر رضا** : "إن تلاقي الثقافات، واحتضان بعضها لبعض مظهر طبيعي وصحي للثقافة الإنسانية ، و يمكن الإشارة إلى حركتي التأثير والتأثر بين الثقافتين العربية والغربية، على مر الحقب والمراحل التاريخية، وداخل هاتين الثقافتين أيضا كانت هناك على الدوام تيارات أدبية تنتقل من بلد إلى آخر، على

الرغم من خصوصية كل بلد،و النماذج السابقة تبين أن عملية التأثر بالآخر عملية طبيعية لتطوير عملية الإبداع، وتنويعها، وفي هذا الإطار ننظر إلى تأثر الأدباء والشعراء العرب بالغرب.

إن التأثر بالآخر أمر لا مفر منه اليوم، شئنا أم أبينا إننا اليوم أحوج ما نكون إلى الإبداع في المجالات كافة، وهذا لن يكون إلا بالاستفادة من إنجازات الآخر الذي سبقنا أن نتعايش معه ليتم فسح المجال لنا للمشاركة في التطور الإنساني، فنكون أبناء عصرنا فاعلين في حضارته من خلال (التسامح والتفاعل الإيجابي) من رؤية متوازنة للذات والآخر،ولاشك أن التسامح يحتاج إلى نضج فكري يقوم على التأمل والحوار البناء،و الدائم بين الذات والآخر بعيدا عن العقد النفسية. فحوار الثقافات هو الطريق الوحيدة التي تؤدي إلى المحافظة على التعايش الثقافي في العالم" (٤)

الهوامش

١- ماجدة عبود ، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٠ .

٢- الأبعاد الفلسفية في قصة حي بن يقظان (wayback machine)موقع .

٣- محمد عبد السلام كفافي ، دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ط١ ١٩٧١ م ص ١٧٩.

٤- عامر رضا ، مقال (تجليات التأثير بين الأدبين العربي والغربي قديما وحديثا) ، مؤتمر: العلاقة مع الغرب من منظور الدراسات الإنسانية المنظم من طرف كلية الآداب / جامعة اليرموك ن المنعقد في ٢٠٠٧/٨/٧ الأردن .

٥- موقع إسلاميات الإليكتروني.

نهضة الألسنيات

في

العصر الحديث

يقتضي الإنصاف وحيادية الباحث أن نعترف بما ظهر من نهضة في الدراسات اللغوية عند الغرب ، **وهذا راجع إلى أمور كثيرة منها:**

- اتساع دائرة الاتصال بين الشرق والغرب منذ الفتح العربي لأوربا وقيام الدولة العربية في الأندلس .
- ظهور نخبة من الباحثين المجتهدين مثل : دي سوسير ، وورولان بارت وجاك دريدا ، وتشارلز بيرس ، اهتموا بالدراسات اللغوية ومناهج النقد .
- الاستفادة مما اطلعوا عليه من التراث العربي ، وقد اعترف المنصفون منهم بقيمة ما أبدعه العقل العربي .
- حالة الاستقرار النسبي التي عاشتها أوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ونتيجة لذلك برزت جهود الغربيين ممثلة في اتجاهين :

١- مناهج النقد والتحليل .

٢- الدراسات الأسلوبية وقضايا اللغة .

الاتجاه الأول :

مناهج النقد والتحليل(الأسلوبية والبنيوية والتفكيكية)

الأسلوبية:

نادى بها العالم السويسري فرديناند دي سوسير في كتابه الذي نشر بعد وفاته تحت عنوان (محاضرات في علم اللغة العام) .

الأسلوبية تعنى بلغة الأدب من ناحيتين :

- ناحية اللفظ ومكانه في الجملة وموافقته المعنى من عدمه وما يمتاز به اللفظ دون غيره ، ففي ظل الأسلوبية يفترض وجود عدد كبير من الألفاظ

يمكن أن تكون بدائل للفظة معينة ، فقولك مثلا : طار الطائر ، يمكن أن نختار له لفظة أخرى مرادفة ، مثل : حلق ، أقلع ، هوّم ، حوّم ، اندفع .

- الناحية الثانية : السياق التركيبي وما يسمى: علم الأسلوب الوصفي بما يحمل من القيم التعبيرية والجمالية لأصوات اللغة وما تحمل من دلالات .

البنيوية:

قام هذا المنهج على الأسلوبية وأفاد من منجزات دي سوسير في اللغة والكلام والدال والمدلول، وغيرها من المصطلحات، كالسياق والمرسِل والمستقبِل أو الملقي والمتلقي.

وتعتمد البنيوية على البحث في العلاقات ومحاولة اكتشاف القوانين الشاملة التي تتحكم في الاستخدام الأدبي للغة من تركيب البناء الوظيفي وذلك باعتبار النص يتكون من بنيات ، يقوم الباحث بتحديدها وبيان محتواها ودورها في إقامة الهيكل النصي ومن هذا المنطلق يرى (ليفي شتراوس) (أن البنيوية مجرد طريقة أو منهج يمكن تطبيقه في أي نوع من الدراسات).

التفكيكية:

في ظل هذا المنهج يرى (رولان بارت) : (موت المؤلف) أي أن العلاقة بين المؤلف والنص تنقطع بمجرد إبداع النص، ويصبح النص ملكا للقارئ)، وبتعبير آخر ينصب عمل المنهج التفكيكي على النص ولا شيء غيره .

وتعتبر التفكيكية النص جسدا واحدا يمكن تفكيكه إلى وحدات ، بقصد إعادة بنائه وإبراز وحدته . أو كما يقول التفكيكيون :(إن المضمون في ذاته يشبه حبة البصل؛ حيث تتكون كلها من أغشية من سطحها إلى جوهرها).

المنهج النفسي:

يعود هذا المنهج إلى فرويد صاحب نظرية التحليل النفسي الذي ذهب إلى أن الجهاز النفسي يتكون من ثلاثة جوانب: الهو والأنا والأنا الأعلى.

ويقوم على تناول النواحي النفسية لصاحب العمل الأدبي إيمانا بدور هذه العوامل في إنشاء وتكوين النص، وإرجاع ذلك إلى عقدة. أوديب (الشعور بالذنب) وإليكترا(التعلق بالغير) ، والنرجسية (حب الذات أو عشق الذات) ، حيث يعتقد أصحاب هذا المنهج أن الكاتب حال عملية الإبداع يقع تحت تأثير واحدة من هذه العقد ومن خلالها يتشكل العمل الأدبي .

المنهج الاجتماعي:

يعنى بدراسة المجتمع، كما يعنى بتتبع الأعمال الأدبية التي تصور المجتمع بخيره وشره، وتدعو إلى تقدمه، وتجدر الإشارة إلى أن هذا المنهج النقدي قد دعت إليه الفلسفة الاشتراكية ، وهي تعنى بتسجيل الواقع بما فيه وكل ما فيه، وتؤمن هذه الواقعية بالفرد من خلال الجماعة.

المنهج التكاملي:

هو منهج نقدي حديث ينتفع مما تم ذكره من مناهج نقدية ، ولا يقتصر على منهج واحد بعينه.

الاتجاه الثاني :

الدراسات الأسلوبية وقضايا اللغة :

وتتمثل هذه الدراسات في قضايا كثيرة منها :

١- قيمة الكلمة في السياق :

يرى دى سوسير (أنه لا معنى للعلامة إلا بعلاقتها بما ترتبط به من معنى كلّي، والصورة الكلامية عبر النص لا تتحدد إلا من الوظيفة التعبيرية للجملة ، وأن الكلمة بحد ذاتها لا تحمل دلالة إلا إذا ضمت إلى كلمة أخرى تكون معها البناء أو التركيب، وأن الجمل لها دور في تحديد نظام الكلام أي نوع الجملة) .

١- العلاقة بين الجمل داخل النص :

يشير تشومسكي إلى مراعاة النمط الخاص للعلاقات داخل النظام اللغوي وأن الجمل هي الوحدة اللغوية الأساسية التي يقوم عليها الأسلوب بما فيها من بنية عميقة وبنية سطحية، وما يحدث للجملة من تقديم وتأخير أي تحويل.

كما أشار دى سوسير إلى ضرورة وجود تلك العلاقة بين الكلمات في قوله: "وفي الخطاب تقيم الكلمات ضمن تعاقدها فيما بينها علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية تلك التي تستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن، وهذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية، ويمكن تسمية الأنساق التي يكون المدى لها تراكيب".) ويشير أيضا (إلى أن الكلمات المتفرقة لا معنى لها داخل التركيب إلا إذا اجتمعت في وحدات متداخلة).

٣- دلالة الكلمة :

يرى (ستيف أولمان) أن دراسة علم الدلالة تكون في العلاقة بين العلامة (signe) أي اللفظ أو الكلمة، والمدلول عليه، وهو ما دل على معنى الشيء المعني) .

مشيرا إلى الوظيفة الدلالية والوظيفة الصوتية داخل التركيب، أي العلاقة بين اللغة والفكر.

ويرى دى سوسير (أن التركيب لا ينطبق على الكلمات فحسب،ولكنه ينطبق أيضاً على مجموع الكلمات والوحدات المعقدة من المقاييس والأصناف كافّة كأقسام الجملة والكلمات المركبة والمشتقة، ولا يكفي العلامة الرابطة بين أجزاء التركيب ولكن يؤخذ بعين الاعتبار العلاقة التي تربط الكل بأجزائه، أي أن الجمل لها دور تؤديه في نظام الكلام).

ولو تأملت نظرية النظم عند الجرجاني لوجدت هذه الأمور كلها ماثلة أمامك واستمع إلى ما قاله شيخ العربية عبد القاهر الجرجاني ، **يقول** : "إن النظم ليس شيئاً غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني في نفسك ثم تحذو ترتيبها الألفاظ في نطقك".

ويقول :(لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، إذ عبّر عن فكرة نظام اللغة حيث ترتيب الكلام في النفس، ثم انتقاء كلمات عدة، وهذا الترتيب يخضع لقواعد اللغة وفق الدلالة العقلية للكلمات)) .

ويقول أيضا :

"فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً ونهياً واستخباراً وتعجباً، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة إلى لفظة، هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة) .

الانزياح

لغة

واصطلاحا

أمور كثيرة يستند إليها الشاعر عند تكوين التجربة وتشييد بنائها ، فمنذ شرارة الانفعال والتأثر يخرج الشاعر أدواته من مفردات وأساليب وأخيلة وموسيقا يؤسس بها أبيات القصيدة متوخيا التأني والتأنق في اختيار لفظ دون الآخر ، وهو في ذلك كله يتخذ مطية الانزياح أساسا يعتمد عليه ،.ويشكل به جوانب تجربته من منطلق أنه (الانزياح) متعلق بجماليات النص الشعري.

الانزياح لغة مأخوذ من مادة (زاح) زوحا وزواحا أي زال وتنحى وتباعد ، وزاح الشيء زوحا : أبعده ، وأزاحه : نحاه ، وانزاح : زال وتباعد (١).

والانزياح مصطلح غربي وافد إلينا من الدراسات الأسلوبية الغربية المعاصرة، وهو يعني : الابتعاد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف، والخروج بأسلوب الخطاب عن السنن اللغوية الشائعة فيحدث في الخطاب تباعدا (انزياحا) يتيح للشاعرالتمكن من محتوى تجربته ، وصياغتها بالكيفية التي يراها كما يحقق للمتلقي متعة وفائدة . ويعرف "ميشال ريفاتير" الانزياح بأنه ابتعاد "عن النمط التعبيري المتواضع عليه، وهو خروج عن القواعد اللغوية وعن المعيار الذي هو الكلام الجاري على ألسنة الناس في استعماله وغايته التوصيل والإبلاغ ".

و قد جاء هذا المصطلح في ثنايا الدراسات الأسلوبية واللسانية الغربية التي تسعى جاهدة إلى تحديد الواقع اللغوي من منطلق أنه قضية أساسية في تشكيل جماليات الخطابات الأدبية وبوصفه أيضاً حدثاً لغوياً يظهر في تشكيل الكلام وصياغته،وجدير بالذكر أن هذا الأمر ليس جديدا على أدبنا العربي ، فقد تناوله العلماء العرب من قبل تحت مسميات أخرى كالتقديم والتأخير ، والذكر والحذف والإسناد .

ويشير النقاد إلى أن مصطلحات: الانزياح، العدول، التجاوز، الانحراف الاختلال، الإحاطة، خرق السند، ، كلها تؤدي معنى الانزياح .

ذلك أن لغة الخطاب العادي لا انزياح فيها، في حين أن شعرية الأدب تقوم من جملة ما تقوم على الانزياح أي الخروج عن مألوف الصياغة .

ولا يأتي الانزياح هكذا عبثا بلا هدف ، وإنما يأتي به المبدع شاعرا أو ناثرا لغاية وهدف نتبينه في :

- ما يخدم النص .
- ما يخدم متلقي النص.

يخدم النص بما يقدم من انزياحات وخرق لقوانين اللغة بالتقديم والتأخير والذكر والحذف وما يقدم من استعارات وتشبيهات وكنايات ومحسنات ويخدم متلقي النص بما يحدث له من «المفاجأة» بالخروج عن النظام والقانون المتبع في تركيب الجمل وغني عن البيان أن مفهوم المفاجأة مرتبط أصلاً بالمتلقي.

ولقد عرف شيوخ العربية ونقادها القدماء أهمية هذا المصطلح ، ولكنهم لم يعرفوه كما عرفنا نحن، وإنما عرفوه بمصطلحات عديدة مجزأة مبعثرة.

فقدعولجت قضية الانزياح من قبل نقدنا القديم وعلماء العربية الأفذاذ بأسلوب يفوق ما تناولته الدراسات الغربية الحديثة فتناولوا الانزياح تحت مسميات مختلفة منها :

العدول والمجاز والمبالغة والإغراق والضرورة وغير ذلك.

وحسبك أن ترى الانزياح ماثلا في مصادرنا العربية القديمة بالرجوع على أمهات الكتب العربية :

- (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني.

- (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني.

- (منهاج البلغاء) لحازم القرطاجني.

- (العمدة) لابن رشيق وغيرها، ومؤلفات أسلوبية معاصرة .

فهذا شيخ النقاد عبد القاهر الجرجاني يقول "معلوم أن ليس النظم سوى عملية تعليق الكلمة بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض" ، **ويفرق بين نظم الحروف ونظم الكلمة فيقول:**

" ومما يجب إحكامه الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط ، ليس نظمها عن معنى ، فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد ، وأما نظم الكلمة فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم وموضع أو من موضع أم، وموضع لكن من موضع بل. ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله" (٢).

ألا ترى أنه يشير إلى ما يطرأ على الكلام واللغة من تغيير عند نظم الشعر ، وما يعتريه من خروج عن الترتيب المنطقي ، وهو ما تسميه الدراسات الأسلوبية واللغوية الحديثة بالانزياح .

إننا حين نتناول ما يعرض أمامنا من أسالب نجد أنفسنا حيال نمطين من مختلفين :

١- أسلوب اللغة الطبيعية العادية التي تراعي الترتيب المنطقي لمفردات الجملة، وهذا النمط الطبيعي غايته إبلاغ رسالة واضحة تحقق تواصلا بواسطة لغة تقريرية مباشرة .

٢- أسلوب غير طبيعي يميل إلى خرق علاقة مألوفة بين الكلمة ودلالتها المعتادة في اللغة الطبيعية، أسلوب يحمل في طياته انزياحا أي خروجا عن المألوف ، فقولك :

- الطائر فوق الغصن . لغة طبيعية ، ترتيبها منطقي (مبتدأ وخبر).
- أما قولك : فوق الغصن طائر فهذه لغة غير طبيعية ، لأن فيها خرقا للمألوف وخروجا عن نظام اللغة المتبع ، فقد قدمت الجار والمجرور (فوق الغصن) الخبر على المبتد أ (طائر) .

الانزياح إذن يعني البعد عن مطابقة الكلام للواقع وهو يستعين بأدوات لغوية متعددة منها الاستعارة و التشبيه و الخيال والرمز وغيرها من المحسنات البلاغية .

- ففي قول الشاعر (عيناك غابتا نخيل) انزياح باللغة من المعنى المعهود للعينين في اتجاه معنى آخر غير مألوف .
- وفي ورود الجناس أو السجع أو المطابقة أو المقابلة أو الترادف خروج عن المألوف بقصد تزيين الكلام ، أو إحداث مؤثر صوتي يخرج بالكلام والأسلوب عن مساره التقريري اللغوي المباشر .

وأدوات الانزياح اللغوي كثيرة منها :

- التقديم والتأخير.
- الذكر والحذف .
- **المجاز :**
  - التشبيه.
  - الاستعارة.
  - الكناية .
- **المحسنات البديعية :**
  - السجع
  - الجناس
  - الطباق
  - المقابلة
  - التورية
  - الترادف
  - التكرار.
  - الازدواج .
  - التوشيع .
  - العدول.
  - الالتفات .
  - رد الأعجاز على الصدور.

الانزياح

في

الدراسات العربية القديمة

أولى أجدادنا العرب اللغة العربية اهتماماً واسعاً، وقدموا ملاحظات ذات قيمة حول قضاياها، فقد سبقوا زمانهم بما قدموا من نظريات في اللغة واللسانيات ، وقد قاموا بجهد هائل في دراسة اللغة، واجتهدوا في جمع أصول اللغة ولمّ شتاتها واستنباط أحكامها العامة التي تبرز قيمتها عند مقارنتها ببعض المفاهيم الألسنية المعاصرة.

ويعترف الغربيون المنصفون بالجهود اللغوية العربية القديمة وإسهامها في مجالات الدراسات الصوتية والدراسات المعجمية، حتى لقد كتب بعض هؤلاء مشيدا ومبرزا تلك الجهود ، ومعترفا بتأثرها الفعال في نهضة الدراسات اللغوية في بلاد الغرب.

والذي لا شك فيه أن كثيرا من القضايا اللغوية قد تناولها علماء العربية بمسميات **تختلف عما ورد إلينا من الغرب** :

- فمثلا تناول العرب قضية السرقة الأدبية وبينوا أنواعها ودعموها بأمثلة من نتاج الشعراء والناثرين ، حتى وفد إلينا المصطلح (السرقة) في عصرنا الحاضر تحت مسمى (التناص).
- كما وفد إلينا مسمى (الانزياح اللغوي) - في ركاب ما جاء من الغرب - وهو بالضبط ما تناوله علماء العرب تحت مسمى : التقديم والتأخير، والذكر والحذف والزيادة والترتيب .

الحذف والزيادة والترتيب:

فالحذف قد تناوله سيبويه في المبتدأ والخبر والمضاف وحروف الجر، وكان مما ذكره عن الحذف قوله : (عبد الله وربي. حيث رأى أن أصل الكلام: ذاك عبد الله ، أو هذا عبد الله، وذلك لأن السياق كان السبب في التقدير).

ويقول ابن جني :(إن المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان من حكم الملفوظ به إلا أن يعترضك هناك من صناعة اللفظ ما يمنع منه) **ثم يذكر أمثلة منها:**

قولك للقادم من حجة : مبرور مأجور ، أي أنت مبرور مأجور ، أو مبرورا مأجورا ، أي قدمت مبرورا مأجورا وكذلك **قول الشاعر** :

رسم دار وقفت في طلله كدت أقضي الغداة من جلله

أي رب رسم دار ، **وكذلك قولهم** :

(الذي ضربت زيد ، تريد الهاء ، وتحذفها لأن الموضع دليل عليها).

ويقول الجرجاني عن الحذف :

هو باب دقيق المسالك،عجيب الأمر،فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ومن لطيف الحذف **قول ابن النطاح:**

العين تبدي الحب والبغضا وتظهر الإبرام والنقضا

درّة ما أنصفتني في الهوى ولا رحمت الجسد المنضى

غضبى ولا والله يا أهلها لا أطعم البارد أو ترضى

يقول:

" هذه الأبيات في جارية كان يحبها ، والتقدير "هي غضبى"أو"غضبى هي" لا محالة ،إلا أنك ترى النفس كيف تتفادى إظهار هذا المحذوف،وكيف تأنس إلى إضماره،وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به."

وأما **الزيادة** فقد ذكرها العرب القدامى في الجملة لإضافة الفائدة في التركيب، وتناولوا الزيادة في: ضمير الفصل والواو المقحمة وحروف الجر الزائدة وزيادة (كان) و(إن) و(أن) و(ما).

كما ذكرها العرب في الإطناب وما له من أنواع ، وما فيه من دلالات .

وأما **الترتيب** فقد أشار إليه العرب كالجرجاني في دلائل الإعجاز في موضوع التقديم والتأخير. كما تناوله كثير من النقاد من بعده .

وهذه أمثلة مما ورد في مؤلفات علماء العربية :

١- **يقول أبو عبيدة** :" ومن مجاز المقدم والمؤخر **قول الله تعالى** : ﴿...فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ ...﴾ [سورة الحج:٥] ،أراد : ربت واهتزت " .

فهو في هذا النص يقف على "التقديم والتأخير" المعنوى ، فالماء ينزل أولاً فينبت الزرع ويربت أى: ينمو ، ثم يهتز عند اكتمال النمو دلالة على النضج .

ويقول في تعليقه على قوله تعالى :

﴿...فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[سورة المائدة:٧٠] :

- " مقدم ومؤخر ، مجازه : كذبوا فريقاً ، (وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) مجازه يقتلون فريقا " . وهو بذلك يشير إلى ترتيب الجلة الفعلية الأصلي (الفعل يليه الفاعل ثم المفعول) وقد جاءت الآية الكريمة خلاف هذا الترتيب ، فقدم المفعول به (فريقا) على الفعل والفاعل.

- **ويقول في تعليقه على قوله تعالى :**

﴿...بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [سورة الأنعام:١]:

مقدم ومؤخر ، مجازه : يعدلون بربهم ، أي : يجعلون له عدلا ، تبارك وتعالى عما يصفون .

وهي إشارة ذكية " للتقديم والتأخير" الرتبي . و إلى تقدم الجار والمجرور اللذين سدا مسد المفعول به على الفعل والفاعل ، ويشير إلى الترتيب الأصلي للجملة **بقوله :** (يجعلون له عدلا).

- كما تناول ابن قتيبة التقديم والتأخير مدللا عليه بآيات من كتاب الله عز وجل ، ومبينا الغاية **من مجيء الآيات على هذا النحو :**

يقول ابن قتيبة مستشهدا للتقديم والتأخير :

" ومن المقدم والمؤخر **قوله تعالى** : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا ...﴾ [سورة الكهف:١]، أراد : أنزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا .

وابن قتيبة بذلك يجعل الحال (قَيِّمٗا) أحق بالتقديم إلى جوار صاحب الحال (ٱلۡكِتَٰبَ) وبذلك تتوالى الأوصاف الجميلة أولا ثم تليها ما عدا ذلك من أوصاف ، لينفي عن القرآن الكريم صفة الاعوجاج وحاشاه عن ذلك .

وفي قول الله تعالى : ﴿...فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ ...﴾ [سورة هود:٧١] أي: بشرناها بإسحاق فضحكت" فهو هنا يجعل المعنى هو المحرك الأهم في توجيه ما يرد من تقديم وتأخير في الآيات القرآنية بمراعاة الحالة النفسية لزوجة نبي الله إبراهيم – عَلَيْهِ السَّلَامُ – إذ بلغت من العمر ما بلغت ثم بشرت بأنها ستلد غلاما فيكون رد الفعل المتوقع ما يشبه عدم التصديق ، والذي أدى إلى الضحك ، وعلى هذا المعنى راعى ابن قتيبة الحالة النفسية للزوجة في توجيه الآية الكريمة.

ويشير الشريف الرضي إلى التقديم والتأخير في أمثلة من القرآن الكريم منها **قوله تعالى:** ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٤٣] .

يقول : "وهذه استعارة على أحد التأويلين ، وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ، فكأنه **تعالى قال** : (أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ). معنى ذلك أنه جعل هواه آمراً يطيعه ، وقائداً يتبعه".

وجهود العلماء العرب كثيرة في هذا المجال ، تشهد بذلك المصادر التي آلت إلينا من تراثهم العريق ، ولأن المجال هنا ليس ذكر كل ما تناولوه فقد اكتفت الدراسة بهذه الأمثلة القليلة .

وحري بنا أن نفصل القول فيما عرف بالانزياح اللغوي (أي ما يحدث في الجملة **من خروج عن الترتيب المألوف بما يلي** :

- إما بالذكر أو الحذف
- أو بالتقديم والتأخير
- أو بالزيادة

وفي الصفحات التالية نعرض في إسهاب لمعنى الذكر والحذف والتقديم والتأخير باعتبارها أدوات وعناصر الانزياح اللغوي .

أولا : الحذف

في المعجم :

الحذف في اللغة: القطع والإسقاط .

جاء في الصحاح: "حَذْفُ الشيءِ: إسقاطه. يقال: حَذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَبِ الدابَة، أي أخذت.

وحَذَفْتُ رأسَه بالسيف، إذا ضربته فقطعتَ منه قطعةً".

وفي لسان العرب:

"حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً قَطَعَه من طَرَفه والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر من ذلك... والحَذْفُ الرَّمْيُ عن جانبٍ والضرْبُ"

ومما ورد في كتاب العين عن تعريف الحذف أنه: قَطْفُ الشَّيْء من الطَّرَف كما يُحْذَف طَرَفُ ذَنَب الشّاة

والحَذْف : الرَّمْيُ عن جانبٍ والضَّرْب عن جانبٍ

وعند ابن منظور:

(حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً قطَعَه من طَرَفه .

والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر من ذلك .

والحُذافةُ ما حُذِفَ من شيء

ويتَّضح من خلال هذه المُعطيات القاموسيَّة والمعجميَّة أنَّ المعنى الذي تُشير إليه كلمة "حذف" غالبًا، لا يخرج عن ثلاثة معان أساسيَّة، وهي:

- القَطْعُ؛ إذ نقول كما جاء في لسان العرب: حذَف الشيء يَحذفه؛ أي: قطَعه من طرَفه.

• القَطْفُ، وهو أيضًا بمعنى القطع؛ كما ذكَر صاحب اللسان: "قطَف الشيء يَقطفه؛ أي: قطَعه.

• الطَّرْح؛ إذ إنه لا يُحذَف شيء إلاَّ طرِح، والطَّرْح كذلك الإسقاط.

إذًا فالحذف في اللغة يعني : القطْع والقطف والإسقاط، كما أنَّ المحذوف من الشيء هو المقطوع منه والساقط.

الحذف اصطلاحًا:

إسقاط وطرْح جزءٍ من الكلام أو الاستغناء عنه؛ لدليل دَلَّ عليه، أو للعِلم به وكونه معروفًا.

وعرفه ابن حجة الحموي **بقوله** : (حذف بعض لفظه لدلالة الباقي عليه **كقوله تعالى** : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ... ﴾ [سورة يوسف:٨٢] أي أهل القرية .

وعرفه قدامة بن جعفر في كتابه نقد النثر : (الحذف هو الإيجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالما بمراده فيه) .

أسباب الحذف:

يكون الحذف لأسباب كثيرة منها :

١ـ ترك ما لا ضرورة لذكره خوفا من الإطالة : مثل قول الله تعالى :

وما أدراك ماهيه . نار حامية .

المحذوف هو المبتدأ في **قوله** : نار حامية ، والتقدير هي نار حامية .

٢ـ ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب التوجع او التضجر أو الخوف .

مثل قول الشاعر :

قال لي : كيف أنت ؟ قلت عليل   سهر دائم وحزن طويل

المحذوف هو المبتدأ **في قوله** : قلت عليل ، والتقدير : أنا عليل .

٣- تيسير الإنكار إن دعت إليه الحاجة ، مثل قولك :

كذاب كسول (تعني أحدا معينا) والمحذوف هو المبتدا ، والتقدير : فلان كذاب كسول ، ولو حددت أحدا باسمه ما استطعت الإنكار .

٤- تعجيل الإخبار بالسرور :

مثل قولك : نجحت ، أو ناجح ، إذا كنت تبحث عن اسمك بين الناجحين ، والمحذوف هو المبتدأ ، والتقدير : أنا ناجح .

٥- إذا كان الفاعل معلوما :

كقول الله تعالى :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ... ﴾ [سورة الجمعة:١٠] .

المحذوف هو الفاعل **في قوله** (قُضِيَتِ) ، ومعلوم من سيقضي الصلاة .

٦- إذا كان ذكر الفاعل لا يحقق فائدة للسامع :

مثل قول الفرزدق :

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم

المحذوف هو الفاعل في قوله : يكلم ؛ إذ لا حاجة لذكر الفاعل ، فنحن لا يهمنا معرفة من كلم الممدوح .

٧- إذا كان الفاعل مجهولا :

مثل قولك : زُرِعَتْ حديقة .

وقولك : أُذِيعَت الأخبار .

المحذوف هو الفاعل للجهل به .

٨ – إذا كان ذكر الفاعل يسبب خطرا عليه :

كقولك : كُسِر الزجاج .

المحذوف هو الفاعل ، وقد حذف للخوف عليهمن خطر محدق به

٩- و يحذف الفعل إذا لم تكن ضرورة لذكره :

مثـــل قولـــك : البـارودي : جوابـا لمن سـألك : مـن أسـس مدرسـة الإحيـاء والبعث؟ **والتقدير** : أسس البارودي مدرسة الإحياء والبعث .

١٠ – و يحذف المفعول به لإفادة التعميم والشمول :

مثل قول الله تعالى : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [سورة العلق:١]

المحذوف هـو المفعول بـه ، وقـد حـذف ليـدل على شموليـة خلـق الله الأشـياء وانه خالق كل شيء سبحانه في علاه .

١١- و يحذف المفعول به لتيسير الإنكار عن دعت الحاجة إليه :

مثل قولك : عنف الأستاذ وانتقد ، وأنت تقصد في نفسك أحد زملائك لفعل قام به وأغضب أستاذه .

والمحذوف هنا هو المفعول به ، **والتقـدير** : عنف الأستاذ فلانا ، وقد حذف لتيسير الإنكار عن دعت الحاجة ز

١٢- رعاية الفاصلة والمحافظة على السجع:

وهو غرض لفظي؛ حيث تحذف حرف أو أكثر لمراعاة الفاصلة؛ **مثـل قولـه تعـالى:** ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [سورة الضُّحى:٣] ، فمفعول الفعل قلى وهو ضمير المخاطب صلى الله عليه وسلم، محذوف لرعاية الفاصلة والتوافق الصوتي مع أواخر الآيات قبلها وبعدها.

روعة الذكر والحذف

في القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه له نمطه الخاص في التركيب، وهو نمط فريد متميز، فقد يذكر الحرف في كلمة في موطن ما، ويحذف هذا الحرف من نفس الكلمة في موطن آخر، وتذكر الكلمة في موطن ما وتحذف في موطن آخر مع اقتضاء ذكرها، وذكرها وحذفها ليس عشوائياً وإنما لحكمة قد نعلمها وقد لا نعلمها، وقد نعلم جزءاً منها.. ولكن ينبغي أن يُعلم أن الحذف إذا نُسب في القرآن فإننا لا ننسب الحذف إلى مضمون القرآن بل ننسبه إلى تركيب اللغة، وحاشا لله أن نقول حذفا ، لأن القرآن نزل كاملا من عند خالق الأرض والسماء .

ومن مواضع الإعجاز القرآني في الذكر والحذف:

الذكر والحذف في الحروف:

- قول الله تعالى :

- ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾

[سورة الكهف:٧٨] بإثبات التاء.

- ﴿ ...وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ... ﴾ " ثم قال له: ﴿ ...وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [سورة الكهف:٨٢]بحذف التاء."تَسْطِع " و"تَسْتَطِع ".

وردت هاتان الكلمتان في قصة موسى والخضر حيث رافق موسى الخضر وأمره بعدم سؤاله عما يفعله فكان يفعل أموراً يرى موسى أن الخضر فيها مخالف فينكر عليه ما فعل ثم نبأه بتأويل أفعاله وأخبره أنه لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه كما ورد في الآيتين السابقتين .

فلماذا جاء الفعل (تستطع) مرة بإثبات التاء الثانية ومرة أخرى بحذفها ؟

في المرة الأولى كان موسى في قلق محيِّر جرّاء أفعال الخضر فراعى السياق القرآني الثقل النفسي الذي يعيشه موسى عليه السلام فأثبت التاء ليتناسب مع الثقل النفسي لموسى، الثقل في نطق الكلمة بزيادة الحرف.

وحذف حرف التاء في المرة الثانية بعد زوال الحيرة وابتعاد الهم عن موسى ليتناسب خفة الهم مع خفة الكلمة بحذف الحرف الذي ليس من أصل الكلمة.

الذكر والحذف في بعض كلمات الآية :

- **قوله تعالى:** ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ [سورة الزُمَر:٧١].
- **وقوله تعالى :** ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [سورة الزُمَر:٧٣].

- **ذكر في الآية الأولى** (فُتِحَتۡ) بدون الواو قبلها .

- وذكر في الآية الثانية (وَفُتِحَتْ)بإثبات الواو قبلها . فما تفسير ذلك؟

- ولماذا لم تذكر كلمة ربهم في معرض الحديث عن الكافرين في الآية الأولى

ولماذا ذكرت كلمة ربهم عند الحديث عن المتقين في الآية الثانية ؟

يقول المفسرون في تعليل ذلك :

"في هذه الآية من سورة الزمر ذكر تعالى الذين كفروا عندما يساقون إلى النار فهؤلاء لا يستحقون أن يرد معهم اسم الله سبحانه وتعالى فضلاً عن أن يذكر اسم الرب (رَبَّهُمْ) الذي يعني المربي والرحيم العطوف الذي يرعى عباده فلا تنسجم كلمة ربهم هنا مع سوق الكافرين إلى جهنم وعدم ذكر كلمة ربهم مع الذين كفروا هو لسببين: الأول أنهم يساقون إلى النار، وثانياً أنهم لا يستحقون إن تذكر كلمة ربهم معهم فلا نقول وساق الذين كفروا ربُهم إلى جهنم لأن كلمة الرب هنا: فيها نوع من التكريم والكافرون لا يستحقون ذلك حذف الواو في (فُتِحَتْ).

- لكن مع المؤمنين نقول (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ) ذكر كلمة ربهم هنا تنسجم مع الذين اتقوا. وفعل كفر يتعدّى بنفسه أو بحرف الجر وهنا لم يتعد الفعل وهذا يدل على إطلاق الذين كفروا بدون تحديد ما الذي كفروا به ؟ لتدل على أن الكفر مطلق فهم كفروا بالله وبالإيمان وبالرسل وبكل ما يستتبع الإيمان.

(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا) لم تذكر كلمة (ربهم) لأن الربوبية رعاية ورحمة ولا تنسجم مع السوق للعذاب ولا يراد لهم أن يكونوا قريبين من ربهم لكنها منسجمة مع سوق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة فهي في هذه الحالة مطلوبة

ومنسجمة. كلمة الرب فيها نوع من التكريم فلا تذكر مع الكافرين لكن مع المؤمنين تكون مطمئنة ومحببة إليهم (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا).

- وبالنسبة لذكر وحذف الواو في كلمة (فُتِحَتۡ) و (وَفُتِحَتۡ) حذف الواو مع النار وهذا نوع من إذلال الكافرين والمضي في عقابهم لأن الذين كفروا عندما يساقون إلى جهنم كأنهم ينتظرون ثم تفتح لهم الأبواب عندما يصلون إليها وهم في خوف ولكن تفتح الأبواب عند وصولهم وتفاجئهم النار، بينما المؤمنون يرون أبواب الجنة مفتحة لهم من بعيد ويشمون رائحتها من بعد، ورائحتها تشم من مسافة ٥٠٠ عام وهذا نوع من الإكرام لهم لأن الأبواب مفتحة لهم قبل وصولهم إليها فيكونون في حالة اطمئنان في مسيرهم إلى الجنة.

والواو في (وَفُتِحَتۡ) هي واو الحالية أي وقد فتحت أبوابها أي وهي في حالة انفتاح أي سيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها حال كونها مفتّحة أبوابها. فالنار إذن أبوابها موصدة حتى يساق إليها الكافرون فتفتح فتكون مفاجأة لهم وهذا نوع من الإذلال لهم وإخافتهم وإرعابهم بما سيجدون وراء الأبواب أما الجنة فأبوابها مفتوحة وهذا نوع من التكريم للمؤمنين ".

ثانيا : التقديم والتأخير

تنقسم الجملة في اللغة العربية إلى قسمين:

- **الأوّل:** الجملة الفعليّة .
- **الثاني:** الجملة الاسميّة.

- والترتيب المنطقي للجملة الفعليّة تقديم المسند (المحكوم به) وهو الفعل أو ما يعملُ عملَ الفعلِ، يليه المسندِ إليه (المحكوم عليه) وهو الفاعل أو ما ينوب عنه، ثمّ تأتي متعلّقات الجملة : الصفة – الحال التوكيد – العطف – الجار والمجرور – المضاف إليه وغيرها من المكملات .
- والترتيب المنطقي للجملة الاسميّة تقديم المسند إليه (المبتدأ) وما يتّصلُ به، وتأخير المسندِ (الخبر) وما يتّصلُ به، وبعد ذلك تأتي متعلّقات الجملة التي ذكرناها من قبل .

فإذا خرجت الجملة الفعلية أو الجملة الاسمية عن الترتيب الترتيب السابق كان ذلك انزياحا ، أي خروجا عن المألوف المتعارف عليه في ترتيب الجمل الأصلي ففي قوله تعالى :﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ [سورة المائدة: ١٢٠]

يتضح الانزياح في تقدم الجار والمجرور (لِلَّهِ)، إذ إنّ قوله": مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ " يختلف من حيث الدّلالةُ والمعنى عن قوله :(لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) ففي الأولى يكون قد قدّم المبتدأ (مُلْكُ)على الخبر(لِلَّهِ) وهو الأصل الّذي تُبنى عليه قواعد اللّغة النّحويّة ومعناه واضحٌ.

ولكنّه في الثّانية عَدَل عن المعنى الأصليّ إلى معنى منزاحٍ دلاليّاً بتقديم الخبر على المبتدأ وله دلالته الّتي وقف عندها البلاغيّون وكلّ هذا التّقديم والتّأخير ليخصّص جلّ وعلا ملك السموات والأرض به ويقصرهما عليه بما في السموات والأرض من نبات وحيوان وإنسان وجماد ، فلو قال: "ملك السموات والأرض لله" لاحتمل وجود إلهٍ آخر مالكٍ لهما غير الله لإمكانيّة العطف وهذا منافٍ لتعاليم الدّين والعقيدة الإسلاميّة والحقيقة الرّبّانيّة.

أما حالات التقديم فهي :

١- تقديم يفيد زيادة في المعنى مع تحسين اللّفظ مثل **قوله تعالى:**

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [سورة القيامة٢٢ :٢٣] .

٢- تقديم يفيد زيادة في المعنى فقط مثل **قوله تعالى** :

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٦)﴾ [سورة الزُّمَر:٦٦].

فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة دون سواه، ولو أُخِّرَ لم يفِدِ الكلامُ ذلك.

٣- تقديم يختلّ به المعنى ويضطرب مثل **قول الفرزدق** :

إلى ملكٍ مـــا أمُّـــهُ مـــن محـــاربٍ أبوه ولا كانـــت كليـــبٌ تصـــاهرُهْ

إذ تقديره إلى ملكٍ أبوه ما أمُّه من محارب أي ما أم أبيه منهم، ولا شكّ أنّ هذا لا يُفهم من كلامه للنظرة الأولى؛ بل يحتاج إلى تأمّل ورفق حتى يُفهم المراد.

أنواع التقديم :

- تقديم المسندإليه (الخبر- الفاعل).
- تقديم المسند (المبتدأ - الفعل).
- تقديم المكملات (الجار والمجرور - المضاف - المضاف إليه - المفعول).

أما الأغراض البلاغية من التقديم والتأخير فكثيرة منها :

الأغراض البلاغيّة لتقديم المسند إليه:

١- الاختصاص وتقوية الحكم كقول الشاعر :

وما أنـــا أســـقمت جســـمي بـــه ولا أنا أضـــرمت في القلـــب نـــارا.

٢- تعجيل المسرّة، مثل :

فوزك في السباق أعلن اليوم .

٣- تعجيل المساءة ، كقولك:

الحكم بالإعدام على المجرم أعلن اليوم .

٤- الفخر والاعتزاز:

كقول سيّدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه **في غزوة خيبر:**

أنا الّـــذي سمّـــتني أمّـــي الحيـــدرة كليـــثِ غابـــاتٍ غلـــيظ القَصَـــرةِ

٥- لتقوية الحكم وتقريره **مثل قوله تعالى :**

﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ...﴾ [سورة الحُجُرات:١٣] .

٦- الاستغراب والمفاجأة والخوف كقولك :

- السفينة الضخمة رست على الشاطىء
- الشياطين لها أتباع بين الناس .
- جيش العدوّ دخل المدينة.

٧- الاهتمام بالمتقدم كقولك :

- إلى الله أشكو ضعفي وقلة حيلتي.

٨- الإنكار والتعجّب، كقوله تعالى :

﴿... أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ...﴾ [سورة مريم:٤٦] .

٩ - التّفخيم والتّعظيم نحو **قوله تعالى:**

- ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ [سورة النور:٣٥] .

١٠- عموم السّلب نحو:

- كلّ ما في الكون لا يخلدّ.

- ما كلُّ ما يتمنّى المرء يدركه.

الأغراض البلاغيّة لتقديم المسند:

١- تخصيص المسند بالمسند إليه **كقول الله تعالى** :

﴿...لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ...﴾ [سورة القصص:٧٠] .

٢- التّفاؤل بالخير كأن تقول لمن تريد أن يحسّ بالتفاؤل:

في عافية وخير أنت .

٣- التّشاؤم من الشرّ.

كأن تقول لمن تريد إثارة تشاؤمه وقد سأل متى يكون زواجه:

- حين ينعق الغراب زواجك.

٤- الترحم والعطف ، **كقولك** :

عليه رحمة الله .

وقولك :

محتاج هذا لفقير.

٥- التعجب ، **كقولك** :

لله درك .

٦- التعظيم ، **كقولك** :

رحيم أنت يا الله .

٧- المدح **مثل** :

نعم البطل خالد بن الوليد .

٨- الذم **مثل** :

بئس الخلق الكذب .

٩- الدعاء **مثل** :

في سبيل الله مسعاك.

الأغراض البلاغيّة لتقديم متعلّقات الجملة:

١- التّخصيص:

مثل قول الله تعالى :

﴿...عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة الشورى:١٠].

فتقديم الجار والمجرور خص التوكل على الله وحده دون غيره ، كما خص الغنابة إلى الله وحده ، سبحانه في علاه .

مثل: قوله تعالى :﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [سورة الفاتحة:٥]

فـ(إِيَّاكَ) **الأولى**: مفعول به مقدّم للفعل (نَعْبُدُ) (وَإِيَّاكَ)الثانية: مفعول به مقدّم للفعل (نَسْتَعِينُ).

وقد أفاد هذا التّقديم تخصيصَ وحصر عبادة العابد الّذي يتلو هذه الآية بالله عزّ وجلّ، المخاطب بضمير الخطاب (إِيَّاكَ) وتخصيص وحصر استعانته به إذا استعان.

٢- الاهتمام بالمتقدم ، كقوله تعالى :

﴿...وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [سورة السجدة: ٢٤].

فقوله تعالى : (بِـَٔايَـٰتِنَا) معمولٌ مقدّم على عامله وهو "يُوقِنُونَ " وقدّم للإشعار بأهمية آيات الله في حياة البشر، وبقيمتها العظيمة ، وأن الإيمان بها هو الذي يُصحّح مسيرتهم ويقوّم سُلوكهم.

٣- رعاية الفاصلة مثل **قوله تعالى** :

(خذوه فغلوه.ثم الجحيم صلوه .ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه)

٤- الإنكار والغرابة: **كقول الشاعر:**

أبعد المشيب المنقضـي في الـذوائب　　تحاول وصل الغانيـات الكواعـب؟

٥- لرعاية السجع او غيره من المحسنات اللفظية **مثل** :

(أكتب والأيام تزيدنا عنكم بعدا ، وإليكم وجدا)

٦ - التّشويق إلى المتأخّر: **كقول المعري** :

غـير مجـدٍ في ملّـتي واعتقـادي　　نـوح بـاكٍ ولا تـرنّم شـادِ

ثالثا : الزيادة

(الإطناب)

يعد الإطناب من طرائق الانزياح ، لأن فيه خروجا عن النظام اللغوي بزيادات تدخل على الجملة تخرجها عن المألوف المتبع .

الإطناب يقصد به : الإطالة .

ففي لسان العرب :

- **أطناب الشجر :** عروق تتشعب من أرومتها.
- **الأطناب:** الطوال من حبال الأخبية.
- **الأطناب:** ما يشد به البيت من الحبال بين الأرض والطرائق.

ويقول ابن سيده:

الطنب حبل طويل يشد به البيت والسرادق.

والإطناب معناه :

هو التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من عباراته لدواع بلاغية .

ففي قوله تعالى :

﴿... إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ [سورة الكهف:٢٩] إطناب وصف فيه المولى عز وجل النار وما فيها من عذاب بعدة صفات : أحاط بهم سرادقها – يغاثوا بماء كالمهل – يشوي الوجوه – بئس الشراب – ساءت مرتفقا .

والإطناب هنا أفاد التهويل والتخويف من عذاب جهنم .

وفي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

[سورة الكهف ٣٠ :٣١] انظر ما في الآيات من إطناب وصفت فيه الجنة وما فيها من نعيم في قوله :

جنات عدن – تجري من تحتها الأنهار.

وتحدثت الآيات عن أصحابها بأنهم : يحلون فيها من أساور – يلبسون ثيابا خضرا – متكئين فيها على الأرائك . والقصد من الإطناب هنا تشويق المؤمنين وتحبيبهم في الجنة وما فيها من نعيم .

أما أنواع الإطناب وأغراضه البلاغية فكثيرة منها :

١ـ الإيضاح بعد الإبهام : مثل قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ... ﴾ [سورة الصف ١٠ :١١].

إبهام التجارة للتشويق ثم إيضاحها وتفسير مقصودها .

٢ـ ذكر الخاص بعد العام : مثل قوله تعالى :

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [سورة البقرة:٢٣٨]

فقد خص الصلاة الوسطى وهي العصر بالذكر لزيادة فضلها في بعض التفاسير.

٣ـ ذكر العام بعد الخاص : مثل قوله تعالى :

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ... ﴾

[سورة نوح:٢٨]

٤ـ التوشيع :

ومعنـــاه : ذكر مثنى يفسر بعده بمفردين مثل : قول النبي محمد ﷺ (عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله) .

وقوله : (منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب مال) .

٥ـ التكرار أو التكرير :

وهو إعادة الكلمة مرة أخرى في جملة واحدة ، أو إعادة الجملة مرة ثانية ، ويأتي التكرار للأغراض البلاغية الآتية :

ـ لإفادة التأكيد ، مثل قول الله تعالى :

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾

[سورة الفجر: ٢١ : ٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الشَّرح: ٥ :٦] .

ـ للاستيعاب مثل قولك :قرأت الكتاب فصلا فصلا ، واستوعبته فكرة فكرة

ـ للاستمتاع والتلذذ :مثل قول الشاعر :

أعد ذكر مصر إن قلبي مولع بمصر ومن لي أن ترى مقلتي مصرا

فقد كرر الشاعر كلمة (مصر) ثلاث مرات لأنه يلذ له سماعها .

ـ للتهويل والتفخيم ، مثل قول الله عز وجل :

(القارعة ما القارعة . وما أدراك ما القارعة)

ـ التغلب على طول الفصل ، مثل قول الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة يوسف:٤]

ـ للاعتراض :

ومعناه : وضع كلمة أو جملة تعترض السياق ، ولكن لها دلالات بلاغية هي:

ـ الدعاء : مثل :

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل).

وقولك :

العدل – أيدك الله – واجب .

ـ التعظيم ، مثل قول الله تعالى :

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) ﴾ [سورة الواقعة ٧٥ : ٧٧] .

ـ التنزيه : مثل قول الشاعر :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها – وحاشاك – فانيا

ـ الهجاء : مثل قول الشاعر :

لو أن الباخلين – وأنت منهم – رأوك تعلموا منك المطالا

ـ الاحتراس :

ومعناه : كلمة زائدة عن المعنى (مثل الاعتراض) ولكن تذكر لتزيل توهما أو غموضا في الجملة **مثل قول الشاعر** :

فسقى ديارك – غير مفسدها – صوب الربيع وديمة تهمي

فقول الشاعر (غير مفسدها) احتراس ، أزال توهم واحتمال أن يكون السقي عنيفا شديدا لدرجة الفيضان والطوفان وما فيه من ضرر وإهلاك ، ودل على أن السقي طيب غير مفسد .

- التذييل :

وهو ذكر جملة بعد تمام المعنى لتأكيده كقول الشاعر :

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى

ظمئت ، وأي الناس تصفو مشاربه ؟

فجملة (وأي الناس تصفو مشاربه) جاءت زائدة عن المعنى ، غير أنها ذيلت الكلام ، وأكدت ما قبلها من معنى .

ومثله – أيضا – قول الشاعر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

الإطناب إذن زيادة في اللفظ بالتكرار أو التفصيل أو الإيضاح أو الاعتراض وفي الزيادة انزياح أي خرق للنظام اللغوي وخروج عن المألوف ، ولكنه خروج مقدر ومحسوب ، يأتي به المبدع - شاعرا أو ناثرا - لغايات وأهداف يضعها في حسبانه واعتباره وفق مقتضيات المعنى والمحتوى الذي يشتمل عليه عمله الأدبي .

الهوامش

١- أبو عبيدة (معمر بن المثنى) ، مجاز القرآن ، تحقيق : د. محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ١٢/١ .

٢- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق : السيد صقر، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٣ ، ٣٧.

٣- الشريف الرضى (محمد ابن الحسين بن موسى)، تلخيص البيان في مجازات القرآن ،تحقيق: محمد عبد الغنى حسن، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، ط١، ١٩٥٥، ٢٥١، ١.

٤- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد العلي ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٩ .

رابعا : الإيجاز

الإيجاز : يعني أن يذكر المعنى الكثير في ألفاظ قليلة موجزة .

وللإيجاز نوعان :

* إيجاز قصر.

* إيجاز بالحذف .

١- إيجاز القِصَر:

هو ان يؤتى بالمعنى الكثير في ألفاظ قليلة موجزة دون ان يحذف من الكلام شيء **مثل قول الله عز وجل** : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ... ﴾ [سورة البقرة:١٧٩] .

إن هذه الألفاظ القليلة يمكن بسطها في معنى كثير، فالآية الكريمة قد بينت أن في معاقبة الجاني بمثل ما فعل راحة للأفراد واستقرار للمجتمع ؛ إذ يستل الكراهية والغضب من قلوب المتنازعين فيؤدي إلى الراحة والأمان .

٢- إيجاز بالحذف :

وهو أن يؤتى بالمعنى الكثير في ألفاظ قليلة مع حذف شيء من الجملة **كما يلي** :

- حذف المفعول به ، مثل قوله تعالى :

﴿ ... وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ... ﴾ [سورة الأعراف:٣١] والمحذوف المفعول به وهو الطعام ، والشراب ، لأنه معلوم للجميع .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ... ﴾ [سورة القصص:٢٣] .

فحذف المفعول به في قوله : (يَسْقُونَ ، تَذُودَانِ ، نَسْقِي) والمحذوف هنا معلوم للقارىء ، وهو يسقون ماشيتهم ، تذودان ماشيتهما ، نسقي ماشيتنا .

- حذف الجار والمجرور ، مثل قوله تعالى :

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ...﴾ [سورة الحج:٧٨]

على تقدير : جاهدوا في سبيل الله .

- حذف المضاف ، كقوله تعالى :

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ ...﴾ [سورة البقرة:١٩٧] على تقدير أشهر الحج أشهر معلومات .

- حذف المضاف إليه ، كقوله تعالى :

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةًۚ ...﴾ [سورة الأعراف:١٤٢] .

المحذوف هو المضاف إليه والتقدير : عشر ليال .

- حذف الموصوف ، كقوله تعالى :

﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة ص:٥٢]

على تقدير : وعندهم حور قاصرات .

- حذف الصفة ، كقوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة التوبة:١٢٥]

على تقدير : زادهم رجسا مضافا غلى رجسهم .

- حذف جواب الشرط ، كقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [سورة يس:٤٥]

على تقدير جواب الشرط : لأعرضوا .

- حذف الحرف ، كقوله تعالى :

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ [سورة يوسف:٨٥] والحرف المحذوف هنا (لا) على تقدير: لا تفتأ .

هذه بعض مواضع الحذف ، وهناك أمور أخرى تحذف من الجملة لدلالة بلاغية تعرف من سياق الجملة .

ومما سبق يتبين لنا أن الحذف انزياح ، أي خروج عن مسار الجملة الطبيعي، لإرادة معنى ودلالة معينة .

العدول

العدول في المعجم

جاء في لسان العرب:

العَدْل: ما قام في النفوس أنه مُسْتقيم، وهو ضِدُّ الجَوْر.

عَدَل الحاكِمُ في الحكم يَعْدِلُ عَدْلاً وهو عادِلٌ من قوم عُدُولٍ وعَدْلٍ وعَدَّلَ الحُكْمَ: أقامه.

وفلان يَعْدِل فلاناً أي يُساويه.

ويقال: ما يَعْدِلك عندنا شيءٌ أي ما يقَع عندنا شيءٌ مَوْقِعَك.

وعَدَّلَ المَوازِينَ والمَكاييلَ: سَوَّاها.

وعَدَلَ الشيءَ يَعْدِلُه عَدْلاً وعادَله: وازَنَه.

وعادَلْتُ بين الشيئين، وعَدَلْت فلاناً بفلان إذا سَوَّيْت بينهما.

وتَعْدِيلُ الشيء: تقويمُه، وقيل: العَدْلُ تَقويمُك الشيءَ بالشيءِ من غير جنسه حتى تجعله له مِثْلاً.

والعَدْلُ والعِدْلُ والعَدِيلُ سَواءٌ أي النَّظِير والمَثِيل، وقيل: هو المِثْلُ وليس بالنَّظِير عَيْنه.

والعَدِيلُ: الذي يُعادِلك في الوَزْن والقَدر.

وعَدَلْت الشيءَ بالشيء أَعْدِلُه عُدولاً إذا ساويته به؛ قال شَمِر: وأَما قول الشاعر: أَفَذاكَ أَمْ هِيَ في النَّجاءِ، لِمَنْ يُقارِبُ أَو يُعادِل؟ يعني يُعادِلُ بي ناقته والثَّوْر.

واعْتَدَل الشِّعْرُ: اتَّزَنَ واستقام، وعَدَّلْته أنا.

وعَدَلَ عن الشيء يَعْدِلُ عَدْلاً وعُدولاً: حاد، وعن الطَّريق: جار، وعَدَلَ إليه عُدُولاً: رجع.

وعَدَلَ الطريقُ: مال. ويقال: أخَذَ الرجلُ في مَعْدِلِ الحق ومَعْدِلِ الباطل أي في طريقه ومَذْهَبه.

عَدَل عنه يَعْدِلُ عُدولاً إذا مال كأنه يميل من الواحد إلى الآخر .

تعريف العدول:

هو أسلوبٌ رفيعٌ من القول يخرج فيه منشئ الكلام عن النمط المألوف إلى نمطٍ غير مألوف لدواعٍ بلاغية ومعنوية ولتحقيق سمة جمالية وإبداعية في الكلام ؛إذ يضفي على الكلام خصائص ومزايا لم تكن لو كان الكلام على النمط المعتاد.

و(العُدُول) أسلوب لا يستطيعه إلا من رزق ملكة البيان وفصاحة القول واللسان وقد تناوله العرب الأوائل وأكثروا منه .

وللعدول أنواع هي :

١- العُدول في تركيب الجملة.

٢- العُدول عن مطابقة النعت لمنعوته بالحركات الإعرابية.

٣- العُدول من الفعل إلى الاسم أو العكس.

٤- العدول بالالتفات.

وتفصيل هذه الأنواع هو :

أولا : العدول في تركيب الجملة .

والمقصود به التمييز المحول عن شيء آخر **على النحو الآتي :**

- تمييز محول عن المبتدأ مثل :

أنا أكبرُ منك عمراً **والتقدير** :(عمري أكبر من عمرك) .

- ومثله من القرآن الكريم قول الله تعالى :

﴿...أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الكهف:٣٤] .

والتقدير : (مالي أكثر من مالك ونفري أعزّ من نفرك)

ـ تمييز محول عن الفاعل مثل :

كرم محمد أصلا . **أي** : كرم أصل محمد

طبتَ عيشا . **أي** : طاب عيشك

طبتُ نفساً **والتقدير** : طابت نفسي

ـ تمييز محول عن المفعول به مثل :

زرعتُ الحديقةُ أزهاراً . **والتقدير** : زرعتُ أزهارَ الحديقةِ

ـ ومثاله من القرآن الكريم :

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ... ﴾ [سورة القمر:١٢]

والتقدير : وفجرنا عيونَ الأرضِ

ففي العدول من التركيب الأصل إلى الفرع تكون الجملة أدت معنى جملتين وذلك بتحويل الإسناد في (كرم محمد أصلا) ، وصارت كلمة (أصلا) بهذا التحويل فضلة، وبذلك تكون قد نسبت الكرم أولاً إلى محمد بكل صفاته المادية والمعنوية ثم خصصت الكرم بمحمد دون سواه من خصائص زيد .

ومن يتأمل الجملتين الأصل والمعدول إليها ويدقق فيهما يجد الفرق واضحاً ففي الأصل نجد الكرم مقصوراً على محمد دون أن يتعداه إلى ما سواه، في حين نجد في الجملة المعدول إليها الكرم شمل أولاً محمدا بكل مكوناته وخصائصه ثم نسب مرة ثانية إلى محمد وخصص به.

ثانيا : العُدول عن مطابقة النعت لمنعوته بالحركات الإعرابية:

معلوم أن النعت يطابق منعوته بالحركات الإعرابية رفعاً ونصباً وجراً، غير أنه من أساليب العربية العدول عن هذه المطابقة إلى المخالفة بحركة الإعراب **مثل قولك** : مررت بعلي الكريم ، **بنصب كلمة الكريم** : أفدت بأنك مررت بالمذكور وأنك مدحته بالكرم إذ إنه بعُدولك كلمة الكرم من الجر إلى النصب جعلتها مفعولاً به لفعل **تقديره:** أمدح الكريم .

وفي هذا العدول من الجر إلى النصب إثارة لذهن القارىء ، لأنك في المخالفة عن المألوف أثرت ذهنه إلى أمر غير معتاد ولا مألوف، وجعلته يتفكر ويتأمل في التركيب لمعرفة علة هذه المخالفة وهذا الانزياح والخروج عن المألوف .

ثالثا : العُدول من الفعل إلى الاسم أو العكس:

من المعلوم عند اللغويين أن الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والحدوث، ولتحقيق هذه المعاني من التجدد أو الثبوت يُعدل أحياناً من التعبير بالفعل إلى الاسم أو العكس، **فمن ذلك قوله تعالى:**

﴿...يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ...﴾ [سورة الأنعام:٩٥] .

فظاهر الكلام يقتضي أن **يقال:** ويُخرجُ الميتَ من الحي، إلا أنه عدل من الفعل إلى الاسم، وفي ذلك سرٌّ لطيفٌ وغايةٌ شريفةٌ وذلك أن الحركة هي أبرز صفات الحي، بل هي الصفة التي تميزه من الميت، ولذا عبر عن ذلك بالفعل المضارع (يُخْرِجُ) الدال عن الحركة والتجدد، أما الميت فهو هامدٌ جامدٌ لا حركة فيه، ولذا عدل في التعبير عنه إلى الاسم الدال على الثبوت والدوام.

- **العدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية وعكسه:**

مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة لقمان: ٣٣].

أي: العدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية.

فلقد أوثرتِ الجملة الفعلية في نفي جزاءِ الوالد عن ولده، ثم عدل عنها إلى الجملة الاسمية عندَ نفي جزاء الولد عن الوالد (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ...)

يقول الألوسي في تفسير تلك المخالفة: "إنَّ العرب كانوا يدَّخرون الأولاد لنفعِهم، ودفع الأذى عنهم، وما يهمهم، ولعلَّ أكثر الناس اليوم كذلك، فأُريد حسْمُ توهُّم نفعهم ودفعهم، وكفاية المهمِّ في حقِّ آبائهم يوم القيامة، فأكدت الجملة المفيدة لنفي ذلك عنهم".[١٧] ذلك أن الأبناء - دائمًا - هم مثار افتتان الإنسان واغتراره بالحياة، لأنهم المستقبل والأمل الذي يعقده عليم الآباء، ومِن ثَمَّ فإنَّ مراد العدول في الآية هو اقتلاعُ ما قد يتسلَّل إلى النفس البشرية - من أي جنس، وفي أي عصر - من توهُّم نفع الأبناء، وهو خطاب عام لعموم الجنس البشري .

أ- العدول عن الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية، مثل قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

[سورة المؤمنون ١٥ :١٦].

ففي الآية الكريمة جاء الحديثُ عن "الموت" من خلال الجملة الاسمية" (ميتون)؛ ليرسخ معنى السكون والخمود، وينبه المتلقي خالي الذهن، المشغول

بمتاع الدنيا ، فأنزلته الصياغة المخالفة لمقتضى الظاهر منزلةَ المنكر للموت، وخُوطب بالجملة الاسمية المؤكدة بمؤكدين: "إن"، و"اللام" (لَمَيِّتُونَ)؛ ليتنبه - بعد غفلة - إلى أن الموت هو اليقين الحقيقي في هذه الحياة.

وعندما انتقلتِ الصياغة إلى الحديث عن البَعْث، جاء الخطاب بالجملة الفعلية (تُبْعَثُونَ)؛ لما في استخدام الفعل المضارع من صفة الاستمرارية ولتصوير الحركة الدائمة، حتى يستحضر المتلقِّي هذه الصورة.

وهكذا أسهم العدول من الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية في تجسيم المفارقة المعنوية بين الموت والبعث، بين حالة السُّكون والجمود.

ب- العدول عن الجملة الخبرية إلى الإنشائية وعكسه:

مثل قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الصف ١٠ : ١١].

نلحظ في قوله تعالى : (تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) أنَّ ظاهر الصياغة خبرية، ولكن المقصود حثُّ المخاطَبين على فعْل ذلك، والإسراع إلى تنفيذه بدليل الاستفهام التشويقي الوارد في **قوله** (هَلْ أَدُلُّكُمْ)؟ وفي ذلك حثٌّ وتشويق وأمر **وتقدير المعنى** : آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في سبيل الله، ولكن أسلوب القرآن آثر العدول عن الإنشاء إلى الخبر لما في ذلك من حث وتشويق للمؤمن ، حتى تربح تجارته .

رابعًا: العدول بالالتفات:

الالتفات أسلوبٌ ينتقل فيه الأديب من الحديث بصيغة الغائب إلى صيغة المتكلم ، أو من المتكلم إلى المخاطب وغيرها من وسائل الانتقال ، والتي سنفصل فيها القول في الجزء الخاص بالالتفات ،ومثال الالتفات من القرآن الكريم **قول الله تعالى :**

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفاتحة٢ :٥] .

فقد التفتت الآية الكريمة من استخدام ضمير الغائب إلى ضمير الخطاب .

ولاشك أن العدول بما نيه من انزياح وخروج عن المألوف يؤكد طواعية اللغة العربية ، ويثبت أنها لغة مرنة يتيح نظامها النحوي لأصحابها إمكانات متعددة وبدائل متنوعة من الأساليب وطرائق التعبير ما يجعل المتكلم يعدل عن أسلوب إلى آخر على غير مقتضى الظاهر، تلويناً للكلام وتشويقاً للسامع، وجذب انتباهه حرصا على الوصول إلى معنى ما كان له ان يصيبه لو اتبع النمط الأصلي والترتيب المنطقي للجملة .

الالتفات

المعنى المعجمي :

جاء في لسان العرب :

لَفَتَ وجهَه عن القوم: صَرَفَه،والْتَفَتَ التِفاتاً وتَلَفَّتَ إلى الشيء والْتَفَتَ إليه: صَرَفَ وجْهَه إليه .

قال تعالى: ﴿... وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ...﴾ [سورة هود:٨١]

أمر بتَرْكِ الالْتِفاتِ، لئلا يرى عظيمَ ما يَنْزِلُ بهم من العذاب.

وفي الحديث في صفته، ﷺ : فإذا الْتَفَتَ، الْتَفَتَ جميعاً؛ أراد أنه لا يُسارِقُ النَّظَرَ؛ وقيل: أَراد لا يَلْوي عُنُقَه يَمْنةً ويَسْرةً إذا نظَر إلى الشيءِ، وإنما يَفْعَلُ ذلك الطائشُ الخَفيفُ، ولكن كان يُقْبِلُ جميعاً ويُدْبِرُ جميعاً.

وفي الحديث: فكانتْ مِنِّي لَفْتةٌ؛ هي المَرَّة الواحدة من الالْتِفاتِ.

واللَّفْتُ: اللَّيُّ.

ولَفَتَه يَلْفِتُه لَفْتاً: لواه على غير جهته؛ وقيل:اللَّيُّ هو أَن تَرْمِيَ به إلى جانبك.

ولَفَتَه عن الشيء يَلْفِتُه لَفْتاً: صَرفه. الفراء في قوله، عز وجل: أَجئْتَنا لتَلْفِتَنا عمَّا وَجَدْنا عليه آباءَنا؟ اللَّفْتُ: الصَّرْفُ؛ يقال: ما لَفَتَك عن فلانٍ أَي ما صَرَفَك عنه؟واللَّفْتُ: لَيُّ الشيءِ عن جهتِه، كما تَقْبِضُ على عُنُق إنسانٍ فتَلْفِتُه؛ولَفَتُّ فلاناً عن رأْيه أَي صَرَفْتُه عنه، ومنه الالْتِفاتُ.

الالتفات في الاصطلاح:

هو الانتقال من أسلوب إلى آخر لإرادة معنى بعينه ولغرض بلاغي وغاية من الإبداع والمتعة الفنية.

وكانت أول إشارة إلى هذه الظاهرة ما نجده عند أبي عبيدة معمر بن المثنى إذ قال: ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته إلى مخاطبة الغائب. **قال الله تعالى:** ﴿... حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ...﴾ [سورة يونس:٢٢].

وقد تحدث الزمخشري وهو يعرض لأول التفات في سورة الفاتحة : (هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم ... على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه).

وسمّاه أسامة بن منقذ (الانصراف)، إذ قال: باب الانصراف: وهو أن يرجع من الخبر إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الخبر (١).

ويقول السكاكي: (واعلم أن هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتهن ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني(٢).

ويقول ابن الزملكاني عن الالتفات: وهو أن تعدل من الغيبة إلى الخطاب أو من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى التكلم ... وهو من أساليب الافتنان في الكلام، ولأنه إذا نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أنشط للإصغاء وأيقظ للسامع مما لو أجرى الكلام على أسلوب واحد (٣).

أما ضياء الدين ابن الأثير فيذهب ابن الأثير إلى أن الالتفات من (البيان) إذ قال: وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يُدَنْدَن واليها تستند البلاغة وعنها يعنعن. وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا. (٤).

أقسام الالتفات :

١- الالتفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

٢- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

٣- الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

٤- الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

٥- الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

٦- الالتفات من التكلم إلى الغيبة

أما أمثلة الالتفات :

- **قول الله عز وجل:** حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة حيث التفتت الآية من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة .

- **ومثل قول الشاعر:**

تـــولُ لـــــه والـــــرمحُ يــــأطرُ متنهُ تأمّل خفافا إنــي أنـــا ذلكـــا.

- **مثل قول الله تعالى:**

﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة الروم:٣٩].

- **وقوله تعالى:**

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة يس:٢٢]

- **وقوله تعالى:**

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ...﴾

[سورة الفتح١ :٢].

- **وقول الشاعر:**

يـــا دار ميــــة بالعليـــــاء فالســــند أقوت وطال عليها ســـالف الأمـــد

الهوامش

١- الكشاف للزمخشري ، ١ص ٦٤ ،٦٥.

٢- البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ٢، ص ٢٠٠ .

٣- المثل السائر لابن الأثير ٢ص١٧٠.

٤- التبيان في علم البيان لابن الزملكاني ص ١٧٣، ١٧٤.

رد الأعجاز علي الصدور

هو من فنون البديع الأصيلة التي تناولها القدماء، وذكرتها مصادر الأدب شعره ونثره، وقلما يخلو كتاب من كتب التراث من الحديث في هذا الباب. وهو من المواضع التي يتأنق فيها الأدباء والشعراء.

تعريف رد العجز على الصدر :

في النثرمعناه: أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة كما في قوله تعالى :

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [سورة الشعراء:١٦٨].

وفي الشعر أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني.

ولا يجيد هذا الفن إلا الأدباء والشعراء الذين يحسنون استعماله ويضعون الألفاظ في مواضعها المناسبة، وما يكون بينها من التلاؤم الصوتي والإيقاع الموسيقي الذي يزيد الكلام حلاوة ويكسبه رونقا يرتقي به، ويشد القلوب إليه.

وهذه أمثلة رد الأعجاز على الصدور :

فمن القرآن الكريم :

قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الأنبياء:٤١].

وقوله تعالى :

﴿... أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾

[سورة النساء:١٦٦].

ومن شواهد الشعر :

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري　　أطنين أجنحة الذباب يضير؟

ومنه :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه　　وليس إلى داعي الندى سريع

ومنه :

تمتع من شميم عرار نجد　　فما بعد العشية من عرار

ومنه أيضا قول الشاعر :

و إذا البلابل أفصحت بلغاتها　　فانف البلابل باحتساء بلابل

فالبلابل الأولى : جمع بلبل ، وهو طائر غرد معروف .

والثانية : جمع بلبال ، وهو الحزن .

والثالثة : جمع بلبلة ، بالضم ، وهي إبريق الخمر.

وتكمن القيمة الفنية الجمالية لهذا اللون البديعي فيما تحققه الموسيقى الداخلية في الملتقي من خلال تكرار الألفاظ الناهضة بالمعاني الدالة عليها في ترتيب محكم يتآزر فيه شطرا البيت ويتعانق بعضهما ببعض في تلاؤم موسيقي ودلالي بديع .

التورية

التَّوْرِية عن الشيء تعني : الكناية عنه .

- وَرَى الزَّنْدُ إذا ظهرت نارُها .
- ووَرَّيْتُ الشيءَ ووَارَيْتُه: أَخْفَيْتُه.
- وتَوارى: استتر.
- واستَوْرَيْتُ فلاناً رَأْياً أي طلبتُ إليه أن ينظر في أمري فيَستخرج رَأْياً أَمضي عليه.
- ووَرَّيْتُ الخَبر: جعلته ورائي وسَتَرْته
- وفي الحديث: أن النبي،صلى الله عليه وسلم، كان إذا أَراد سَفَراً ورَّى بغَيْره أي سَتَرَه وكَنى عنه وأَوْهَمَ أنه يريد غيره، وأَصله من الوراء أي أَلقَى البَيانَ وراءَ ظهره.
- ويقال: وارَيْته ووَرَّيْته بمعنى واحد.
- وفي التنزيل العزيز: ما وُرِيَ عنهما؛ أَي سُتِرَ على فُوعِلَ، وقرئَ: وُرِّي عنهما، بمعناه.
- ووَرَّيْتُ الخبر أُوَرِّيه تَوْرِيةً إِذا سترته وأَظهرت غيره، كأَنه مأْخوذ من وَراء الإِنسان لأَنه إِذا قال وَرَّيته فكأَنه يجعله وراءه حيث لا يظهر.
- وفلان وَرِيُّ فلان: أَي جارَه الذي تُواريه بيُوته وتستره
- ووَرَّيْتُ عنه: أَرَدْتُه وأَظهرت غيره، والتَّوْرِيةُ الستر.

وتسمى "الإيهام"

أما معناها الإصطلاحي :

" أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل الحقيقة والمجاز، أحدهما ظاهر قريب يتبادر إلى الذهن وهو غير مراد، والآخر بعيد فيه نوع خفاء وهو المعنى المراد، لكن يورى عنه بالمعنى القريب، ليسبق الذهن إليه ويتوهمه قبل التأمل، وبعد التأمل يتنبه المتلقي فيدرك المعنى الآخر المراد".

وبتعبير آخر :

هي كلمة لها معنيان :

- معنى قريب يدركه القارىء بسهولة ، وليس هو ما يريده القارىء.
- ومعنى بعيد خفي وهو المراد والمقصود .

ويلجأ الكاتب – عادة – إلى التعبير بالتورية إذا خشي الوقوع في الحرج أو إذا كان التصريح بالمعنى الحقيقي سيسبب له مشكلة ، أو يعرضه للأذى والعقاب .

ومن شواهد التورية :

قول الشاعر "صلاح الصفدي":

وصاحب لما أتاه الغنى	تاه ونفس المرء طماحه
وقيل: هل أبصرت منه يدا	تشكرها قلت ولا راحه

كلمة: راحة لها معنيان: أحدهما المعنى القريب وهو راحة اليد، وهو المعنى الذي تستدعيه عبارة "يدا تشكرها" والآخر المعنى المقصود وهو راحة الجسم من التعب.

وقول الشاعر:

رفقا بخل ناصح	أبليته صدا وهجرا

وافـــــاك ســـــائل دمعـــــه فرددتـــــه في الحـــــال نهـــــرا

كلمة "نهرا لها معنيان: الأول القريب هو النهر واحد الأنهار. والمعنى الآخر البعيد وهو المراد: هو الزجر، ويشير إلى قول الله تعالى: وأما السائل فلا تنهر. وفيه أيضا تورية بكلمة "سائل" من سال يسيل، ومن سأل يسأل، إذ الدمع الذي يسيل يتضمن **سؤال الوصال**.

سئل أبو بكر- رضي الله عنه -عن الرسول- صلى الله عليه وسلم - حين الهجرة ، فقيل له من هذا؟ فقال : **هادٍ يهديني**.

***في كلمة "هاد " تورية إذ لها معنيان:**

-المعنى القريب :غير مقصود، هو الهادي إلى الطريق في السفر والقرينة (الهجرة).

-المعنى البعيد: وهو المقصود، الهادي إلى الإسلام:.

ـ يقول الشاعر :

يـــــا عـــــاذلي فيـــــه قـــــل لي إذا بـــــدا كيـــــف أســـــلو ؟

يمـــــرُّ بي كـــــل يـــــوم وكلمـــــا مـــــرَّ يحلـــــو

- **التورية** في كلمة " مرّ " إذ لها معنيان :

-معنى **قريب** وهو الشيء مرّ المذاق، ويتبادر هذا المعنى إلى الذهن لوجود قرينة(**يحلو)** وهو غير مقصود.

-**معنى بعيد**: مأخوذ من المرور وهو المقصود.

ـ ويقول الشاعر :

وواد حكى الخنساء لاقى شـــجونه ولكن له عينان تبكي علـــى صـــخر

ـ **التورية في كلمة " صخر " إذ لها معنيان:**

-**معنى قريب ليس مقصودا:** صخر أخو الخنساء ويتبادر إلى الذهن لوجود قرينة (الخنساء والشجون).

-**معنى بعيد** : الصخر " الحجارة " . وهو المقصود.

ويقول الشاعر :

-والنـــــهر يشـــــبه مــــــبردا فلأجــــــل ذا يجلــــو الصـــــدى

التورية في كلمة "الصدى " إذ لها معناها:

-**المعنى القريب** :صدأ الحديد . لوجود قرينة " مبرد "، وهو غير مقصود - والمعنى البعيد المقصود هو : العطش .

والذي لا شك فيه أن الالتفات والعدول ورد الأعجاز على الصدور والتورية ، وغيرها تعد انزياحا وخروجا عن مألوف الجملة في اللغة العربية .

المجاز

المجاز اللغوي بما يحمل من علاقة المشابهة أو غير المشابهة فيه خرق لنظام الجملة في اللغة العربية .

إنك حين تقول : محمد شجاع ، هذه جملة تسير وفق نظام اللغة وترتيبها إذ جاء المبتدأ يعقبه الخبر ، كما أن إخبارك عن محمد بأنه شجاع جملة واقعية لا تحمل انزياحا من حيث المضمون .

أما حين تقول : محمد كالأسد ، فقد شبهته بالأسد قاصدا الإخبار عنه بقوته التي تشبهه بالأسد ، والجملة بذلك خرجت عن المألوف بعدولك عن قولك (شجاع) إلى قولك عنه (كالأسد) .

ومن هذا المنطلق يعد المجاز انزياحا وخروجا عن المألوف، وبمعنى آخر :

- **التشبيه**
- **الاستعارة**
- **الكناية**
- المجاز المرسل بما يحمل من علاقات .

كلها تعد انزياحا وتغييرا لنظام الجملة العربية .

وقد سبق القرآن الكريم بمحكم آياته إلى ذلك :

- **فقول الله تعالى :** ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٦١] .

الآية الكريمة تخبرنا عن ثواب الإنفاق في سبيل الله ، وأثر الإنفاق ومدى نفعه للمجتمع وللمنفق للمحتاجين ، فلم تقل الآية الكريمة : إن ثواب المنفقين

عظيم ، ولم تقل : إن أثر الإنفاق عظيم ، إنما عبرت الآية – في روعة – عن ذلك بتصوير جميل جعل الإنفاق مثل حبة طيبة تنبت سبع سنابل وتتضاعف فتخرج كل سنبلة مئة حبة .

- **وفي قول الله تعالى:** ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [سورة الصافات:٦٥]

في وصف شجرة الزقوم، تنفيرا من ثمرها ومن شكلها ، لم تقل الآية الكريمة : **إن طعمها** مر ، ولم تقل: إن شكلها منفر، بل صورته برؤوس الشياطين تاركة **لنا** أن نتصور ما تحمل هذه الرؤوس من سوء وقبح .

- وفي بيان نعيم اتساع الجنة وما فيها من نعيم **قال تعالى** : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[سورة آل عمران:١٣٣]

لم تقل الآية الكريمة : إن الجنة واسعة جدا ، بل صورت اتساعها باتساع السموات والأرض تاركة للمؤمن آن يتصور ما فيها من رحابة وسعة .

وللشعر نصيب كبير في إطار التعبير المجازي ، فهذا عنترة بن شداد العبسي يبين لنا مدى ما لقيه جواده من إجهاد ومعاناة وهو يقاتل العدو ويصارعه ، **قال** :

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ... ولبانه حتى تسربل بالدم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلم

لم يقل لنا تعب الجواد وانهكت قواه ، ولكن صوره في صورة إنسان يشكو ويتكلم ويتألم .

وهذا المتنبي يخبرنا أن الحمى قد أصابته ودأبت على الإلمام بجسده كلما حل المساء ولم يقل لنا هذا مباشرة ، إنما جعلها في صورة زائر يزوره على استحياء في الظلام ، فيقول :

وزائـــرتي كـــأن بهـــا حيـــاء ... فلـــيس تـــزور إلا في الظـــلام
أراقب وقتـــها مـــن غـــير شـــوق ... مراقبـــة المشـــوق المســـتهام
فرشـــت لهـــا الوســـائد والحشـــايا ... فعافتـــها وباتـــت في عظـــامي

وهكذا يصير المجاز لونا من ألوان الانزياح ، وأداة يتم بها الخروج عن مألوف الجملة لتحقيق غايات ودلا لات معينة يقصد إليها مبدع العمل الأدبي قصدا .

الانزياح

في

الدراسات الغربية الحديثة

شهدت أوربا نهضة ملموسة في الدراسات اللغوية والألسنيات تمخض عنها ظهور الاتجاهات النقدية : الأسلوبية والتفكيكية والبنيوية ، وظهور عدد من المصطلحات اللغوية كالتناص والانزياح والمفارقة ن وتم ذلك نتيجة لظهور عدد من علماء اللغة واللسانيات الذين استفادوا كثيرا من تراثنا العربي الأدبي والنقدي .

لقد حدثت القطيعة مع المناهج النقدية التقليدية وحدث الخروج والتمرد على الرومانسية لتجاهلها موضوعها النقدي، وهو النص الأدبي، وانشغالها بعناصر وإشكاليات أخرى خارج النص الأدبي ونعني بها ما يتعلق بصاحب العمل الأدبي ومبدعه **مثل**:

- السيرة الذاتية

- الدراسات النفسية

- الدراسات الاجتماعية

كما كان لهذه القفزة الهائلة في حقل الدراسات اللسانية أثر ملموس في ظهور مناهج النقد الحديثة التي أشرنا إليها عاليه . **يتضح ذلك فيما يلي** :

ففي عام (١٩١٦) ظهرت دراسات العالم اللساني دي سوسير تحت عنوان (محاضرات في اللسانيات العامة) تحدث فيها عن رؤيته وما توصل إليه من نظريات جديدة ، ظهرت في إثره وعلى نهجه مدارس نقدية تولي اهتمامها دراسة العناصر الداخلية للنص الأدبي ومحتواه مبتعدة عن أي مؤثر خارجي.

وقد اهتمت هذه المدارس بالمستوى اللساني للنص (ما يشتمل عليه من مفردات وأصوات وتراكيب) على اعتبار أنه المستوى الوحيد الذي من الممكن إخضاعه لأسس الدراسة العلمية المنهجية التحليلية والوصول إلى نتائج يمكن التحقق منها علمياً وإجرائيا والوثوق في مصداقيتها.

وكان من نتيجة هذه الدراسات أن ظهرت المدرسة الشكلية الروسية في الربع الأول من القرن الماضي ممثلة في دراسات المنظرين الروس مثل (فكتور شكلوفسكي) و (بوريس اخنباوم) و (يوري تاينانوف) وتزامن مع هذه المدرسة الروسية ظهور (النقد الجديد) في أمريكا على يد عدد من النقاد الأكاديميين أمثال (كلينث بروك) و (روبرت مارن) و (جون بورسر) و (ألن تيت) في نفس الفترة الزمنية . ·

يضاف إلى ذلك ظهور ما عرف بالنقد النصوصي، في كتاب (معنى المعنى) المنشور عام (١٩٢٢) لمؤلفه الناقد الإنجليزي أي.أ. رتشاردز بالاشتراك مع الناقد سي. كي.أوغدن .

وقد ركزت هذه المدارس النقدية على دراسة (الأدبية) التي هي مجموعة العناصر الشكلية الداخلية التي تجعل من نص معين نصاً أدبيا.

وقد شاع مصطلح (الشعرية) بدلاً من الأدبية بتأثير مباشر من كتابات (رومان ياكبسون)، وعرفت دراسته (بعلم الأسلوب الشعري) التي تسعى إلى اكتشاف قوانين النصوص الأدبية على نحو عام .

ثم تزايدت الاتجاهات النقدية ذات المرجعيات الأسلوبية والشكلية والبنيوية خلال أكثر من نصف قرن من الزمان ، على يد (جان كوهين) و (رولان بارت) و (تودوروف) و (جوليا كريستيفا. وتضمنت مؤلفاتهم دراسات واضحة لمقاربات نصوصية تحليلية وصار النقد على درجة عالية من الموضوعية.

إن كثيرا من هذه الدراسات أخذت في اعتبارها التركيز على النص الادبي ومضمونه ، والعوامل اللغوية والبلاغية التي أثرت فيه دون النظر إلى صاحب العمل الأدبي ومبدعه ، معتبرين أن المؤلف ينتهي دوره عند كتاب العمل الأدبي وإخراجه إلى حيز الوجود ، مما يعني – في رأيهم – موت المؤلف ، وابتعاده عن الساحة حيث انتهى دوره بالفراغ من تشكيل عمله الأدبي وتدوينه .

والذي ينبغي أن نشير إليه أن المدرسة الشكلية اهتمت بدراسة ما يعرف (بالانزياح الأسلوبي)، وهو عبارة عن خرق لمعايير الاستخدام الدلالي للكلمات التي ترد في لغة الحديث اليومي . فإذا علمنا أن قوانين النحو ثابتة لا تخضع للانزياح لكونه خروجا على المعيارية النحوية للغة، فإنه موجود على المستوى الدلالي، على اعتبار أن الانزياح الدلالي يكمن في كسر مجموعة العلاقات التقليدية التي تنشأ بين الكلمات خلال عملية استخدامها العادي ووضعها ضمن علاقات جديدة خاصة بالنص الأدبي.

(وقد حدده جان كوهين بأنه انحراف عن معيار، هو قانون اللغة الاعتيادية أو المألوف، يحمل قيمه جماليه... فهو خطأ ولكنه كما يقول برونو"خطأ مقصود").

إن المدرسة الشكلية بتأكيدها على مفهوم (الانزياح) والقيمة الجمالية، تكون قد نقلت الدراسات اللغوية نقلة كبيرة وفتحت آفاقا رحبة لمزيد من البحث وتناول قضايا اللغة آخذين في الاعتبار أن اللغة متطورة نامية وقضايا الأدب والنقد مطردة تتأثر دائما بظروف العصر ومتطلباته .

كما أن " ظهور مدرسة براغ وطرح ياكبسون لمفهوم (الشعرية) قد ساعد على الانتقال من مستوى الجملة الى مستوى البنية، فبينما اقتصرت الأسلوبية والتشكلية على المستوى الفردي للتجربة الأدبية والبعد الدلالي متداخلاً مع التأثير الانفعالي في نفس المتلقي، قامت حلقة براغ، والدراسات البنيوية من بعدها، بالانتقال إلى المستوى النحوي العلائقي والنزوع نحو البنية كنظام شمولي من العلاقات الداخلية بين عناصر النص الأدبي، وبذلك ظهرت سلسلة من الدراسات التي تبحث في المستوى الهيكلي العام لنوع معين من النصوص الأدبية، ولعل أوضح مثال على ذلك النوع من النشاط النقدي النظري الدراسات النقدية السردية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الماضي."

وكان من ثمار هذه الدراسات الغربية أن وصلت إلينا مع رياح الحضارة التي هبت علي الشرق **مدعومة بالعوامل الآتية** :

- ظهور حركات التحرر في كثير من بلدان الشرق وتخلصها من قيود الاستعمار والتقييد والاستغلال .

- الاتصال الوثيق بالغرب ورواد النهضة والإصلاح والمفكرين والأدباء والنقاد الغربيين .

التطور التقني في مجال الطباعة والنشر وتداول الآراء عبر وسائل الاتصال التي صارت تفوق الخيال ونعني بها الانترنيت والأقراص المدمجة والفيديو كمفرنس وغيرها من التقنيات الحديثة .

- ظهور أجيال من المثقفين والأدباء الرواد الذين اخذوا على عاتقهم عبء النهوض بالدراسات اللغوية والنقدية بما أتيح لهم من فرص الدراسة في الغرب والاتصال بينابيع النهضة والثقافة والاطلاع على آخر ما وصل إليه نتاج قرائح الغربيين .

- المؤتمرات والمهرجانات الأدبية والنقدية واللغوية التي تجمع – عادة – بين رواد الفكر والمبدعين فيزداد توهجهم وإبداعهم .

كان من ثمار هذا كله تطور الدراسات اللغوية والنقدية في شرقنا العربي ، والتي نأمل لها الرقي سيرا على نهج علماء اللغة العربية وشيوخها الأفذاذ .

الهوامش

١- ا- د. بشرى موسى صالح :"المرآة والنافذة"، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١، ص١٦.

٢- بشرى موسى صالح: "المرآة والنافذة"، ص١٣

٣- د . معن الطائي ، (التداولية والنظرية النقدية) مقال أليكتروني عن مجلة الأدب والفن .

٤- **كمال أبو ديب: "في الشعريه"، مؤسسة الأبحاث العربية، ط/لبنان ١٩٨٧.**

دراسات تطبيقة عن الانزياح اللغوي
وأثره في بنية النص الأدبي

وتشمل :

- نونية أبي البقاء الرندي.

يقول أبو البقاء الرندي (٤) :

لكـــل شـــــيء إذا مـــا تم نقصـــان

فـــلا يغـــر بطيـــب العـــيش إنســـان

هـــي الأمـــور كمـــا شـــاهدتها دولٌ

مـــن ســـرَّهُ زمـــنٌ ســـاءته أزمـــانُ

وهـــذه الـــدار لا تبقـــي علـــى أحـــد

ولا يـــدوم علـــى حـــال لهـــا شـــانُ

يمـــزق الـــدهر حتمًـــا كـــل ســـابغةٍ

إذا نبـــت مشـــرفيات وخرصـــان

وينتضـــي كـــل ســـيف للفنـــاء ولـــو

كـــان ابـــن يـــزن والغمـــد غمـــدان

أيـــن الملـــوك ذوو التيجـــان مـــن

يمـــنٍ وأيـــن منـــهم أكاليـــلٌ وتيجـــانُ

وأيـــن مـــا شـــاده شـــدَّادُ في

إرمٍ وأيـــن ماساســـه في الفـــرس ساســـانُ

وأين مـــا حـــازه قـــارون مـــن ذهـــب

وأيـــن عـــادٌ وشـــدادٌ وقحطـــانُ

أتـــى علـــى الكـــل أمـــر لا مـــرد لـــه

حتى قضـــوا فكـــأن القـــوم مـــا كـــانوا

وصار ما كان من مُلك ومن مَلك

كما حكى عن خيال الطيفِ وسنانُ

دار الزمان على دارا وقاتله

وأمَّ كسرى فما آواه إيوانُ

كأنما الصعب لم يسهل له سببُ

يومًا ولا مَلك الدنيا سليمان

فجائع الدهر أنواع منوعة

وللزمان مسرات وأحزانُ

وللحوادث سلوان يسهلها

وما لما حل بالإسلام سلوانُ

دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاء له

هوى له أحدٌ وانهد ثهلانُ

أصابها العينُ في الإسلام فارتزأتْ

حتى خلت منه أقطارٌ وبلدانُ

فاسأل بلنسيةَ ما شأنُ مرسيةٍ

وأين شاطبةٌ أمْ أين جيَّانُ ؟

وأين قرطبةٌ دارُ العلوم فكم

من عالمٍ قد سما فيها له شانُ ؟

وأين حمصُ وما تحويه من نزهٍ

ونهرها العذب فياض وملآنُ ؟

قواعدٌ كنَّ أركانَ البلاد فما

عسى البقاء إذا لم تبق أركان

تبكي الحنيفيةُ البيضاءُ من أسفٍ

كما بكى لفراق الإلف هيمانُ

حيث المساجدُ قد أضحتْ كنائسَ ما

فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصلبانُ

حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ

حتى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ

يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةٌ

إن كنت في سِنَةٍ فالدهر يقظانُ

وماشيًا مرحًا يلهيه موطنهُ

أبعد حمصٍ تَغرُّ المرءَ أوطانُ ؟

تلك المصيبةُ أنْسَتْ ما تقدَّمها

وما لها مع طولِ الدهرِ نسيانُ

يا راكبين عتاقَ الخيلِ ضامرةً

كأنها في مجال السبقِ عقبانُ

وحـــاملين ســـيوفَ الهنـــدِ مرهقـــةً

كأنهـــا في ظـــلام النقـــع نـــيرانُ

وراتعـــين وراء البحـــر في دعـــةٍ

لهـــم بأوطـــانهم عـــزٌّ وســـلطانُ

أعنـــدكم نبـــأ مـــن أهـــل أنـــدلسٍ

فقـــد ســـرى بحـــديثِ القـــومِ ركبـــانُ؟

كم يســـتغيث بنـــا المستضـــعفون وهـــم

قتلـــى وأســـرى فمـــا يهتـــز إنســـان

لمـــاذا التقـــاطع في الإســـلام بينكمُـــو؟

أنـــتمْ يـــا عبـــاد الله إخـــوانُ

ألا نفـــوسٌ أبيَّـــاتٌ لهـــا همـــمٌ

أمـــا علـــى الخـــيرِ أنصـــارٌ وأعـــوانُ ؟

يـــا مـــن لذلـــةِ قـــومٍ بعـــدَ عـــزِّهُمُ

أحـــال حـــالهمْ جـــورُ وطغيـــانُ

بـــالأمس كـــانوا ملوكًـــا في منـــازلهم

واليـــومَ هـــم في بـــلاد الضـــدِّ عبـــدانُ

فلـــو تـــراهم حيـــارى لا دليـــل لهـــم

علـــيهمُ مـــن ثيـــابِ الـــذلِ ألـــوانُ

ولــــو رأيــــتَ بكـــاهُم عنـــدَ بـــيعهمُ

لهالـــكَ الأمـــرُ واســـتهوتكَ أحـــزانُ

يـــا ربَّ أمٍّ وطفـــلٍ حيـــلَ بينـــهما

كمـــــا تفـــــرق أرواحٌ وأبـــــدانُ

لمثل هـــذا يـــذوبُ القلـــبُ مـــن كمـــدٍ

إن كـــان في القلـــب إســـلامٌ وإيمـــانُ

في هذه القصيدة الرائعة الخالدة يتحدث الشاعر عن دولة الأندلس ، ومجد العرب الداثر ، وكيف ضاع هذا الفردوس ، ولم يبق لنا منه سوى الأطلال والحسرات التي نتجرعها ،ولا نكاد نسيغها كلما عنت الذكرى ، وهبت رياح الماضي وكلما قرانا التاريخ ، وما يحمل في طياته من عظات باقيات ، وعبر موجعات ، في هذه القصيدة الرائعة

يتجلى الانزياح اللغوي واضحا متمثلا في عنصرين:

الأول: يخص المفردات اللغوية في تشكيلها الفردي العمودي :

ونقصد به تشكيلها داخل الجمل ، حيث يتم التغيير والخروج عن المألوف على مستوى الصياغة .

الثاني: المفردات اللغوية في بنائها العلائقي الأفقي :

ونقصد به ما يحدث من خرق وتغيير على مستوى العلاقات الإسنادية .

القصيدة من بدايتها تتضح فيها معالم العنصر اللغوي الأول في الانزياح اللغوي المتمثل في تشكيل مفردات لغوية محكومة بجمالية الصياغة ، فالفعل (يغر) .

لكـــل شـــــيء إذا مـــا تم نقصـــان

فـــلا يغـــر بطيـــب العـــيش إنســـان

يحتل موقعا فريدا يشع على ما حوله إذ يحمل معنى التحذير من التمادي والاستمرار في الخلود إلى الدعة والراحة استنادا إلى رغد العيش وطيب الحياة .

وفي تقديم الجار والمجرور(لكل شيء) على المبتدأ المؤخر (نقصان) انزياح واضح أفاد الاهتمام بالمتقدم ، وعمومية النقصان وشموليته كل شيء في هذا الكون.

وكذلك وجود الشرط (إذا ما تم) بين المبتدأ والخبر خروج بالجملة عن الألوف ، والتقدير والترتيب المنطقي أن يقال : إذا ما تم كل شيء فلا بد أن يعروه النسيان ، غير أن الشاعر قصد إلى هذا الانزياح النحوي والخروج بالجملة عن المألوف وعن الترتيب الطبيعي إلى تسليط الضوء على حدوث النقصان في الأشياء .

كما أسلمه هذا التقديم المناسب في موضعه إلى ذكر الحكمة (فلا يغر بطيب العيش إنسان ، وكأني به يؤكد ما أتي به من تقديم وتأخير ، وحتى في الحكمة نفسها لم ينس أن يؤخر الفعل (إنسان) بغرض الإثارة والتشويق .

ويكون الشاعر- بهذا الانزياح المباغت في البيت الأول - قد مهد للولوج إلى بيان كارثة الأندلس وما حل بها .

وفي قوله :

وينتضـــي كـــل ســـيف للفنـــاء ولـــو

كـــان ابـــن يـــزن والغمـــد غمـــدان

التعبير بالفعل (ينتضي) في البيت الخامس يحمل معنى التحفز واتخاذ موضع القتال والعراك ، فما كان للدهر أن يقاتل ولكن اختراق اللغة جعل له أسلحة ينتضيها في مواجهة بني الإنسان .

والشـرط في قولـه : ولو كان ابن ذي يزن ، محذوف الجواب ، والتقدير لقاتله، والحذف هنا أوقع وأجدى إذ دل عليه وجود الفعل (ينتضي) في أول البيت ، ومفهوم أنه : لو كان ابن ذي يزن يحاربه لانتضى لقتاله .

أيـــن الملـــوك ذوو التيجـــان مـــن يمـــنٍ

وأيـــن منـــهم أكاليـــلٌ وتيجـــانُ

وأيـــن مـــا شـــاده شـــدَّادُ في إرمٍ

وأيـــن ماساســـه في الفـــرس ساســـانُ

وأين مـــا حـــازه قـــارون مـــن ذهـــب

وأيـــن عـــادٌ وشـــدادٌ وقحطـــانُ

انظر إلى تكرار اسم الاستفهام (أين) ، وما حدثه من دلالة ، إنه تكرار عن عمد وإصرار قصد به تعداد ما ضاع في الأندلس المفقود ن فقد ضاع الملوك العظام الذين كان يشار إليهم بالبنان كما ضاع ما شيدوه من عز جاه وحضارة يشهد بها الزمان ، وقد قاده هذا التكرار إلى الرجوع بذاكرته إلى الوراء فتذكر قارون وذهبه الذي فاق كل تصور وحد ، وتذكر ساسان وما شاده من ملك فارسي عريق ، وتذكر قحطان وإرم وعاد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، ولسان حاله يقول مسريا نفسه من ألم : لقد فنى ملك هؤلاء جميعا وضاع ما كان لهم من سطوة وعز وسلطان كما ضاع الأندلس ، وذوت نضارته وانتهت دولته .

وفي قول الشاعر :

دهـــى الجزيـــرة أمـــرٌ لا عـــزاء لـــه

هـــوى لـــه أحـــدٌ وانهـــد ثهـــلانُ

الأفعـال : دهى ، هوى ، انهد أفعال ماضية تفيد التحقق ووقوع الشيء ، جاءت كلها في معرض الحديث عن هول الفاجعة وفداحة المصاب بعد هزيمة العرب وضياع الأندلس ، فجعل الهزيمة شيئا ماديا يهد ويفل ويدمر الحجارة الصلبة ، وهذا خرق للمألوف من الكلام .

أما تقديم الجار والمجرور في قوله (له) على الفاعل (أحد) ففيه ازياح لغوي يحمل دلالة خاصة قصد بها الاهتمام بالأمر الذي دها الجزيرة وأرق مضاجعها.

ثم انظر الانزياح اللغوي في قوله :

تبكـــي الحنيفيـــةُ البيضـــاءُ مـــن أســـفٍ

كمـــا بكـــى لفـــراق الإلـــف هيمـــانُ

لمثل هـــذا يـــذوبُ القلـــبُ مـــن كمـــدٍ

إن كـــان في القلـــب إســـلامٌ وإيمـــانُ

فقد أخر الفعل (هيمان) وأتى به بعد الجار والمجرور والمضاف إليه (لفراق الإلف هيمان) لدلالة ملموسة نجدها في التشويق والإثارة التي أحدثها هذا التأخير.

ولم يبدأ الشاعر في البيت الثاني بالفعل مؤثرا أن يكون الابتداء بالجار والمجرور في قوله (لمثل هذا يذوب القلب)، لأن هدفه وغايته التركيز على الفظائع التي حلت بالأندلس ، والتي من شأنها أن يذوب القلب لها كمدا وألما .

وفي قوله :

- تبكي الحنيفية البيضاء من أسف .

- يذوب القلب من كمد .

تصوير فيه خروج عن المألوف إذ جعل الحنيفية البيضاء (وهي شيء جامد) جعلها تبكي .

وقوله :

يـــا راكــــبين عتـــاقَ الخيـــلِ ضـــامرةً
كأنهـــــا في مجـــــال الســـــبقِ عقبـــــانُ

وحــــاملين ســــيوفَ الهنــــدِ مرهقــــةُ
كأنهـــــا في ظـــــلام النقـــــع نــــيرانُ

وراتعــــين وراء البحــــر في دعــــةٍ
لهـــم بأوطـــانهم عـــزٌّ وســـلطانُ

صيغة اسم الفاعل : راكبين وراتعين وحاملين بمالها من دلالة على الفاعلية والاستمرارية فبينت ما كان عليه العرب من يقظة وأهبة ومقدرة واستقرار ملك حتى وقع ما وقع .

وفي الأبيات الثلاثة انزياح يتمثل في تقديم الجار والمجرور (الخبر) على المبتدأ النكرة ، **في قوله :**

- في مجال السبق عقبان

- في ظلام النقع نيران

- لهم بأوطانهم عز وسلطان

ولعل غاية الشاعر من الخروج عن ترتيب الجملة ، التركيز والاهتمام بأشياء بعينها :

- التركيز على مجالات السبق

- والتركيز على هول المعارك وظلمات النقع

- والتركيز على الأوطان لما لها من أهمية

زد على ذلك ورود المبتدأ نكرة في كلمات : عقبان - نيران - سلطان بقصد الشمول والعموم .

وكذلك أساليب الاستفهام :

- ما شأنُ مرسيةٍ، وأين شاطبةٌ أمْ أين جيَّانُ ؟
- وأين قرطبةٌ دارُ العلوم فكم من عالمٍ قد سما فيها له شانُ ؟
- وأين حمصُ وما تحويه من نزهٍ ، ونهرها العذب فياض وملآنُ ؟
- ألا نفوسٌ أبيَّاتٌ لها همٌّ أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ ؟

كلها جاءت في معرض التحسر والأسى ، واستنهاض الهمم التي أصابها الخور والتخاذل والتفريط . فاطلخم الأمر ، وتفرقت الأهواء ، وتمزق الشمل فوقعت الطامة.

وفي ثنايا الاستفهام نلمح التقديم في قوله :

(سما فيها له شان) إذ المفروض القول : سما شان له فيها ، لكنه آثر الخروج عن المألوف وترتيب الجملة الطبيعي ليسلط الضوء على قرطبة التي كانت حاضرة العلوم والمعارف آنذاك ، ثم انظر إلى التكرار المقصود لاسم الاستفهام

(أين) وما فيه من دلالة على فقد الأماكن : مرسية وشاطبة وجيان وقرطبة وحمص ، وكلها معالم مشهورة في الأندلس الرطيب الذي افتقدناه وضاع من بين أيدينا .

والشيء نفسه في التقديم في قوله :

(ألا نفوس أبيات لها همم) فقد قدم الجار والمجرور (لها) على كلمة (همم) وذلك للتركيز على هذه النفوس الأبيّات التي كان ينشدها الشاعر ويريدها .

وفي قوله :

فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهمُ من ثيابِ الذلِ ألوانُ

ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بيعهمُ
لهالكَ الأمرُ واستهوتكَ أحزانُ

يا ربَّ أمٍّ وطفلٍ حيلَ بينهما
كما تفرق أرواحٌ وأبدانُ

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ
إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

انزياح ملموس نلمحه في :

- **عليهم من ثياب الذل ألوان** : تقدم الجار والمجرور (عليهم) على المبتدأ (ألوان) وذلك للتركيز على المتقدم (هم) أي أهل الأندلس وما آل إليه حالهم من ذلة ومهانة .

- **هالك الأمر ، واستهوتك أحزان** : انزياح ماثل في تقديم المفعول به (الكاف) على الفاعل (الأمر) ، (أحزان) قصد به إثارة شفقة المخاطب والاهتمام به .

- **أما الانزياح في قوله** : يارب أم وطفل حيل بينهما : فواضح في بناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل ، وذلك للعلم به ، لكونه معلوما ، فكلنا يعلم أن الذي فعل كل هذه الأفاعيل هم الأوربيون المعتدون .

- **وفي البيت الأخير تقديم في قوله :**

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ

- **وفي قوله :**

إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

فتأخير الفعل (يذوبُ) عن الجار والمجرور والمضاف إليه (لمثل هذا) يدل شدة ألم الشاعر مما حدث للأندلس ، لذلك يعنيه ويؤثره عن البدء به رغم ما في ذلك من خروج عن المألوف.

- وتأخير اسم كان (إسلامٌ) عن خبرها (في القلب) انزياح غرضه التأثير في المخاطب وإثارة وجدانه .

أما في المجال البناء العلائقي للمفردات فنلمسه في :

- الاتكاء على صيغة الفعل الماضي في تشكيل الخطاب الشعري ، إذ ورد في ثمانية وثلاثين موضعا ، كونه ركنا أساسيا في بناء الجملة الفعلية التي أشاعت حالة التحسر والرثاء وأكدت وقوع كارثة ضياع الأندلس .

- **وفي أساليب الاستفهام :**

- ما شأنُ مرسيةٍ، وأين شاطبةٌ أمْ أين جيَّانُ ؟

- وأين قرطبةٌ دارُ العلوم   فكم من عالمٍ قد سما فيها له شانُ ؟
- وأين حمصُ وما تحويه من نزهٍ ،   ونهرها العذب فياض وملآنُ ؟
- ألا نفوسٌ أبيّاتٌ لها هممٌ ؟   أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ ؟
- استند إليها الشاعر في تكوين بنية القصيدة ، فكانت (ما وأين والهمزة وغيرها من الأدوات) وسائل ربط وطدت العلاقة داخل النسيج الشعري ، وأحدثت دلالات التحسر

التحسر والأسى ، واستنهاض الهمم التي أصابها الخور والتخاذل والتفريط ، فاطلخم الأمر ، وتفرقت الأهواء ، وتمزق الشمل فوقعت الطامة . ، ثم كان لوجود الأساليب الإنشائية إلى جوار الخبرية أثره الواضح في تنوع الخطاب وإثارة الانتباه.

- وفي وصف الملوك بأنهم(ذوو التيجان) ، وقرطبة بـ (دار العلوم) ، ووصف الحنيفية بـ (البيضاء) ، ونفوس بـ (أبيات) ما يمكن إدراجه ضمن جمالية الفائض الوصفي، الذي يهدف إلى تعميق الوعي بالذات التي تعيش مأساة نفسية عميقة .

من هذين العنصرين : المفردات اللغوية في تشكيلها الفردي ، وفي بنائها العلائقي يتحقق الانزياح الشعري الذي يشكل بدوره هيكل القصيدة الشعرية .

الهوامش

(١) المعجم الوسيط ، ج ١ ص ٤٢١

(٢) اللغة والخطاب الأدبي ، اختيار وترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، بيروت ط١ ١٩٩٣ .

(٣) دلائل الإعجاز ص ٤٠

(٤) الأدب الأندلسي ، دكتور أحمد هيكل ، دار المعارف ١٩٧١.

الكرنك

للشاعر أحمد فتحي

حُلـــــم لاح لعـــــين الســــاهرِ

وتهــــــادى في خيــــالٍ عــــابرِ

وهفـــا بـــين ســـكون الخــاطرِ

يصـــل الماضـــي بـــيُمْن الحاضـــرِ

******

طـــاف بالـــدنيا شـــعاع مـــن خيـــالِ

حـــائرٌ يســـألُ عـــن ســـرِّ الليـــالي

يـــا لـــه مـــن ســـرّها البـــاقي ويـــالي

لوعـــة الشـــادي ووهـــمُ الشـــاعرِ

******

صـــحت الـــدنيا علـــى صُـبْحٍ رطيـــبِ

وصـــغا المعبـــد للحـــن القريـــبِ

مرهفًـــا، ينســـابُ مـــن نبـــع الغيـــوبِ

ويُغاديـــــه بفـــــنِّ الســـــاحرِ

حـــين ألقـــى الليـــل للنـــور وشـــاحه

وشـــكا الطـــلُّ إلى الرمـــلِ جراحـــه

يـا تُـرى هـل سمـع الفجـرُ نُواحـهْ

بـين أنـداءِ النسـيم العـاطرِ؟

هـا هنـا الـوادي وكـم مـن مَلـكِ

صـارعَ الـدهر بظـلِّ الكرْنـكِ

وادعًـا يرقـبُ مسـرى الفلـكِ

وهـو يسْـتحيي جـلال الغـابرِ

****

أيـن يـا أطـلال جنـدُ الغالـبِ؟

أيـن آمـون وصـوتُ الراهـبِ؟

وصـلاةُ الشـمسِ؟ وهْـم طـارَ بي

نشـوة تُـزْرى بِكـرْمِ العاصـرِ

****

أنـا هيمـانُ ويـا طـول هيـامي

صـور الماضـي ورائـي وأمـامي

هـيَ زهـري، وغنـائي، ومُـدامي

وهـي في حُلْمـي جنـاحُ الطـائرِ

ذلـــك الطـــائرُ مخضـــوبُ الجنـــاحِ

يســـعدُ الليـــل بآيـــات الصـــباحِ

ويغـــــــني في غُـــــــدوٍّ ورواحِ

بـــين أغصـــانٍ ووردٍ ناضـــرِ

****

في ريـــاض نضّـــر الله ثراهـــا

وســـقى مـــن كـــرم النيـــل رُباهـــا

ومشـــى الفجـــرُ إليهـــا، فطواهـــا

بـــين أفـــراحِ الضـــياءِ الغـــامرِ

وفي هذا النص نلمح الانزياح فيما يلي :

على مستوى الجمل والتركيب ، يبدو الانزياح في :

- الحذف في قوله :

حلم لاح لعين الساهر ، **والتقدير** : هو حلم

نشوة تزري بكرم العاصر ، **والتقدير** : هي نشوة

حائر يسأل عن سر الليالي ، **والتقدير** : هو حائر.

- ومن الانزياح التقديم في قوله :

وهي في حلمي جناح الطائر : تقدم الجار والمجرور (في حلمي) على الخبر (جناح).

وسقى من كرم النيل رباها : تقدم الجار والمجرور (من كرم النيل) على المفعول به (رباها)

ومنه الطباق بين :

غدو ، ورواح

ورائي ، وأمامي

الليل ، والنور

الماضي ، والحاضر

ومن الانزياح التعبير بالمجاز في قوله :

- صحت الدنيا
- صغا المعبد
- ألقى الليل للنور وشاحه
- شكا الطل إلى الرمل جراحه
- سمع الفجر نواحه
- صلاة الشمس
- مشى الفجر إليها .

وعلى المستوى العلائقي :

كان التعبير بالأسلوب الخبري هو الغالب ، بقصد تقرير الوصف وتأكيد المحتوى ، **اما الأسلوب الإنشائي فجاء في قوله :**

- هل سمع الفجر نواحه ؟
- أين يا أطلال جند الغالب ؟
- أين آمون وصوت الراهب ؟

وهي أساليب استفهام تفيد الإعجاب بعظمة الحضارة الفرعونية وما لها من جلال وهيبة وسبق ما يزال حديث الناس والعالم في كل مكان .

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الأخفش الأوسط ، معاني القرآن ، تحقيق د. فائز فارس.

٣- ابن أبي الإصبع، المصري، بديع القرآن، مصر، مكتبة نهضة مصر.

٤- ابن خلكان وفيات الأعيان، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

٥- أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، مجاز القرآن ، تعليق فؤاد سيزكين ، مصر ، الناشر محمد أمين الخانجي ١٩٤٥م.

٦- أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين، بيروت، دار الكتب العلمية

٧- الفراء ، معاني القرآن ، بيروت ، عالم الكتب.

٨- ابن قتيبة الدينوري تأويل مشكل القرآن ، تحقيق أحمد صقر، مصر، دار إحياء الكتب العربية.

٩- المبرد، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر، دار نهضة مصر.